والدى رحمه الله تعالى قبل ان يكفّ نظره ان يبادر يوم النحر بعد رمى جمرة العقبة الى مكّة ويجلس فى الحطيم تجاه بيت الله تعالى ويلحظ الطايفين بنظره ويستمرّ جالسًا هناك الى صلاة المغرب فيطوف بعد صلاة المغرب ويَسْعَى ويعود الى منًى وكان يقول ان اولياء الله لا بُدّ ان يحجّوا كلّ سنة ويفعلوا الافضل وهو الاتيان بطواف الزيارة فى اوّل يوم النحر فأُبَادِرُ الى النزول من منًى فى ذلك اليوم واجلس فى الحطيم أُشاهد الطايفين لعلّ ان يقع نظرى على احدهم او يقع نظرُه علىّ فتحصل لى بذلك بركتهم، واستمرّ على ذلك الى ان كُفّ بَصَرُه رحمه الله فكُنّا نذهب به ونجلسه فى الحطيم ويقول ان كنتُ لا انظرهم فلعلّ ان يقع نظرهم علىّ فتحصل لى بركتهم واستمرّ على ذلك الى ان توفّى رحمه الله تعالى، وان اولياء الله يخفون انفسهم عن اعين الناس فلا يَرَاهُمْ الاّ من اسعده الله تعالى والله تعالى المسئول ان يجعلنا من سعداء الدنيا والاخرة بمنّه وكرمه ان شاء الله تعالى ☆

الباب الثانى

فى بناء الكعبة المعظمة زادها الله تعالى شرفًا وتعظيمًا ومهابةً وتكريمًا

قال قضى القضاة السيّد تقى الدين محمّد بن احمد بن على الحسنى المكّى الفاسى فى كتابه شفاء الغرام لا شكّ ان الكعبة المعظمة بُنيت مرّات وقد اختلف فى عدد بنائها ويتحصّل من مجموع ما قيل فى ذلك انها بُنيت عشر مرّات وهى بناء الملايكة وبناء آدم عليه السلام وبناء اولاده وبناء لخليل ابراهيم عليه السلام وبناء العمالقة وبناء جُرْهُم وبناء قُصَيّ بن كِلاب جَدّ النبىّ صلعم وبناء قريش قبل بعث النبىّ صلعم وعُمره الشريف يومئذ خمس وعشرون سنة وبناء عبد الله بن

الزبير بن العوّام الاسدى وآخرها بناء الحجّاج بن يوسف الثقفيّ ، وفى اطلاق العبارة ان بناء الكعبة تجوّز فان بعضها لم يستوعبها البناء كالبناء الآخر وهو بناء الحجّاج فانه انما هدم جانب الميزاب فقط واعاده وابقى الجوانب الثلاثة وهى جهة الباب وجهة المستجار الذى هو مقابل الباب وجهة الصفا المقابل لجهة الميزاب فانها باقية على بناء عبد الله ابن الزبير رضى الله عنه ،

فاما بناء الملايكة الكعبة الشريفة وهو اوّل بنائها فذكره الامام ابو الوليد محمّد بن عبد الله بن احمد بن محمد بن الوليد الازرقى فى تاريخه فقال حدّثنا علىّ بن مسلم التجلى عن ابيه حدثنا القاسم بن عبد الرحمن الانصارى حدثنا الامام محمد الباقر بن الامام علىّ زين العابدين ابن الحسين بن امير المومنين علىّ بن ابى طالب رضى الله عنه قال كنت مع ابى علىّ بن الحسين عليهما السلام بمكة فبينما هو يطوف وانا وراءه اذ جاءه رجل طويل فوضع يده على ظهر ابى فالتفت ابى اليه فقال الرجل السلام عليك يا ابن بنت رسول الله ثم انى اريد ان اسالك فردّ عليه السلام وسكت ابى وانا والرجل خلفه حتى فرغ من اسبوعه فدخل الحجر فقام تحت الميزاب فقمت انا والرجل خلفه فصلّى ركعتى اسبوعه ثم استوى قاعدًا فالتفت الىّ فقمت فجلست الى جنبه فقال يا محمّد فاين هذا السايل فاومات الى الرجل فجاء فجلس بين يدى ابى فقال له ابى عمّ تسال قال انى اسالك عن بدء هذا الطواف بهذا البيت فقال له ابى من اين انت قال من اهل الشام قال اين مسكنك قال ببيت المقدس قال قرات التابين يعنى التوراة والانجيل قال نعم قال له ابى يا اخا الشام احفظ عنّى ولا تروعنّى الا حقًّا انما بدوُ هذا الطواف

فان الله تعالى قال للملايكة انى جاعل فى الارض خليفة فقالت الملايكة اى ربّ اتخلق غيرنا ممّن يفسد فيها ويسفك الدماء ويتحاسدون ويتباغضون ويتباغون اجعلْ ذلك الخليفة منّا فنحن لا نفسد فيها ولا نسفك الدماء ولا نتباغض ولا نتحاسد ولا نتباغى ونحن نسبّح بحمدك ونقدّسك ونطيعك ولا نعصيك فقال الله تعالى انى اعلم ما لا تعلمون، قال فظنّت الملايكة ان ما قالوا ردًّا على ربّهم وانه قد غضب عليهم من قولهم فلاذوا بالعرش ورفعوا رؤسهم يتضرّعون ويبكون اشفاقًا من غضبه فطافوا بالعرش ثلاث ساعات فنظر الله تعالى اليهم فنزلت الرحمة عليهم ووضع الله سبحانه تحت العرش بيتًا وهو البيت المعمور على اربع اساطين من زبرجد يغشاهن ياقوتة حمراء وقال للملايكة طوفوا بهذا البيت فطافت الملايكة بهذا البيت وصار أعْوَن عليهم من العرش ثم ان الله تبارك وتعالى بعث ملايكة وقال لهم ابنوا لى بيتًا فى الارض بمثاله وقدره وامر الله تعالى من فى الارض من خلقه ان يطوفوا بهذا البيت كما يطوف اهل السماء بالبيت المعمور، فقال الرجل صدقت يابن بنت رسول الله صلعم هكذا كان انتهى، قلت هذا الحديث الشريف يدلّ على ان بناء الملايكة عليهم السلام للكعبة الشريفة كان قبل خلق الارض ولنا احاديث دالّة على ان الكعبة خُلقت قبل الارض باربعين سنة فى رواية وبألفى عام فى أخرى، قال الامام ابو عبد الله محمّد بن اسحق بن العبّاس الفاكهى المكّى فى اوايل تاريخ مكة حدّثنى عبد الله ابن ابى سلمة قال حدّثنا الواقدى قال حدثنا ابن جُرَيْج عن بشر بن عاصم الثقفى عن سعيد بن المسيّب قال قال علىّ بن ابى طالب رضى الله عنه خلق الله تعالى البيت قبل الارض والسموات باربعين سنة وكان

غُثاءً على الماء قال الفاكهي وحدثني عبد الله بن ابي سلمة قال حدثنا النَّضر بن شُمَيْل قال حدثنا ابو مَعْشَر عن سعيد ونافع مولى آل الزُّبَيْر عن ابي هُرَيْرة رضه انه قال الكعبة خُلقت قبل الارض بالفَيْ عام قيل وكيف خُلقت قبل الارض وهي من الارض فقال لانه كان عليها مَلَكان يسبّحان بالليل والنهار الفَيْ سنة فلمّا اراد الله تعالى ان يخلق الارض دحاها من تحت الكعبة فجعلها في وسط الارضين، قال وحدثني عبد الله بن ابي سلمة قال حدثنا الواقدي قال حدثنا اسحاق بن يحيى ابن طلحة انه سمع مجاهداً يقول ان قواعد البيت خُلقت قبل الارض بالفي سنة ثم بسطت الارض من تحته، اقول وظهر ممّا رَوَيْناه ان موضع البيت الشريف قبل خلق الارض لا نَفْس بناء البيت فانه اوّل ما بَنَتْه الملايكة بامر الله تعالى كما سَمَّيْناه والله تعالى اعلم،

الثاني بناء آدم عليه السلام وقد ذكره الامام ابو الوليد الازرقي فقال حدثني جدّي عن سعيد بن سالم عن طلحة بن عمرو الحضرمي عن عطاء بن ابي رَبَح بفتح الراء والموحدة بعدها الف ثم حاء مهملة عن ابن عبّاس رضه قال لمّا اهبط الله آدم الى الارض من الجنّة قال يا ربّ ما لي لا اسمع اصوات الملايكة قال بخطيئتك يا آدم ولكن اذهبْ فابنِ لي بيتاً فطُفْ به واذكرني حوله كما رايتَ الملايكة تصنع حول عرشي، قال فاقبل آدم يتخطّى الارض فطُوِيَتْ له ولم يقع قدمه في شيء من الارض الا صار عمرانًا وبركةً حتى انتهى الى مكة فبَنَى البيت الحرام وان جبريل عليه السلام ضرب بجناحيه الارض فكشف عن اسّ ثابت على الارض السُّفْلَى فقذفت فيه الملايكة من الصخر ما لا يطيق الصخرة منها ثلاثون رجلاً وانه بناه من خمسة أَجْبُل من لُبْنان وطُور زَيْتا وطُور سِينا والجُودي

وحرا حتى استوى على وجه الارض ، وهذا يدلُّ على ان آدم عليه السلام انّما بنى اساس الكعبة حتى ساوى وجه الارض ولعلّ ذلك بعد دثور ما بَنَتْهُ الملايكة بامر الله اوّلاً ثم انزل الله تعالى البيت المعمور لآدم عم ليستأنس به فوضعه على اساس الكعبة ، ويدلُّ على ذلك ما رَوَاه ابو الوليد الازرقى رحمه الله تعالى فى تاريخه قال حدّثنى ابى عن جدّى قال حدثنا سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج قال بلغنى ان عمر بن الخطّاب رضه قال لكعب يا كعب اخبرنى عن البيت الحرام قال كعب انزل الله من السماء ياقوتة مجوّفة مع آدم فقال له يا آدم ان هذا بيتى انزلتُه معك يُطاف حوله كما يطاف حول عرشى ويُصَلّى حوله كما يصلّى حول عرشى ونزلتْ معه الملايكة فرفعوا قواعده من حجارة ثم وضع البيت عليه فكان آدم عم يَطُوف حوله كما يُطاف حول العرش ويُصَلّى عنده كما يُصَلّى عند العرش فلمّا اغرق الله قوم نوح رفعه الى السماء وبقيت قواعده ، وقال الازرقى ايضاً حدثنى ابى قال حدثنى محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن عمران عن عمر بن ابى معروف عن عبد الله بن ابى زياد انه قال لمّا اهبط الله آدم عم من الجنّة قال يا آدم ابنِ لى بيتاً كهذا بيتى الذى فى السماء تتعبّد فيه انت وولدك كما تتعبّد ملايكتى حول عرشى فهبطت عليه الملايكة فحُفر حتى بلغ الارض السابعة فقذفت فيه الملايكة الصخر حتى اشرف على وجه الارض وهبط آدم بياقوتة حمراء مجوّفة لها اربعة اركان بيض فوضعها على الاساس فلم تزل الياقوتة كذلك حتى كان زمن الغرق فرفعها الله تعالى ، وقال الازرقى ايضا حدثنى محمّد بن يحيى عن ابراهيم بن محمد بن ابى يحيى عن ابن المليح انه قال كان ابو هريرة يقول حجّ آدم فقضى المناسك فلمّا حجّ قال يا ربّ

ان لكلّ عاملٍ اجرًا قال الله تعالى امّا انت يا آدم فقد غفرتُ لك وامّا
ذرّيّتك فمن جاء منهم هذا البيت فيسأله بذنبه غفرتُ له فاستقبلته
الملايكة بالردم فقالوا بُرّ حجّك يا آدم قد حججنا هذا البيت قبلك
بالفَيّ عام قال وما كنتم تقولون حوله قالوا كنّا نقول سبحان الله والحمد لله
ولا اله الّا الله والله اكبر قال فكان آدم عم اذا طاف يقول هذه الكلمات
وكان طَوافُ آدم سبعة اسابيع بالليل وخمسة بالنهار قال نافع وكان ابن
عمر رضه يفعل ذلك ٭ وقال الازرقى ايضًا حدثنى محمد بن يحيى عن
ابن عمر قال حدثنا هشام بن عبد الرحمن بن سليمان المخزومى عن
عبد الله بن ابى سليمان مولى بنى مخزوم انه قال طاف آدم عم سُبْعًا
بالبيت ثم صلّى تجاه باب الكعبة ركعتَيْن ثم اتى المُلْتَزم فقال اللهم انك
تعلم سريرتى وعلانيتى فاقبلْ مَعْذرتى وتعلم ما فى نفسى وما عندى
فاغفرْ لى ذنوبى وتعلم حاجتى فاعطنى سُولى اللهم انى اسالك ايمانًا يباشر
قلبى ويقينًا صادقًا حتى اعلم انه لا يُصيبنى الا ما كتبتَ لى والرضا بما
قضيتَ علىَّ قال فأوْحَى الله تعالى اليه يا آدم قد دَعَوْتَنى بدَعْوات
فاستجبتُ لك ولن يدعونى بها احدٌ من ولدك الا كشفتُ همومه
وغمومه ونزعتُ الفقر من قلبه وجعلتُ الغنآء بين عَيْنَيْه واتّجرتُ له من
ورآء كلّ تاجر واتتْه الدُّنْيَا وهى راغمة وان كان لا يريدها ٭ قال فمنذ طاف
آدم كانت سُنّة الطَّوَاف ٭

الثالث بنآء اولاد آدم عم للكعبة المعظمة روى الازرقى بسنده الى وهب
ابن مُنَبّه قال لمّا رُفعت الخَيْمة الله عزّى اللهُ بها آدم من حلية الجنّة
حين وضعت له بمكة فى موضع البيت ومات آدم فبَنَى بنو آدم من بعده
مكانها بيتًا بالطين والحجارة فلم يزل معمورًا يعمّرونه هم ومن بعدهم حتى

كان زمن نوح عم فمسحه الغرق وغيّر مكانه حتى بُوِّئَ لابراهيم عم انتهى، قال الحافظ ابو القاسم السُّهَيْلى فى الفَصْل الذى عقده لبُنْيان الكعبة وكان بنؤها الاوّل حين بنى شيث بن آدم عم انتهى، ولعلّ مُراد السُّهَيْلى بالاوّليّة بالنسبة الى بناء البشر لا الملايكة وان بناء آدم عم انما هو الاساس الى ان سَاوَى وجه الارض وانزل الله عليه من الجنّة بالبيت المعمور فوضعه على ذلك الاساس، والمراد بالخيمة المشار اليها فى خبر وهب بن منبّة رضه هو البيت المعمور او لعلّها خيمة غير البيت المرفوع لعلّهما رُفعت بعد وفاة آدم عم وابقى البيت المعمور الى ان رُفع زمن الطوفان وفى ذلك من ارتكاب المجاز ما تصحّح به هذه الروايات المتباينة ظواهرها والله تعالى اعلم بالصواب،

الرابع بناء الخليل ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال السيّد الامام التقى الفاسى رحه الله تعالى امّا بناء الخليل عم فهو ثابت بالكتاب والسُّنّة الشريفة وهو اوّل من بنى البيت على ما ذكره الفاكهى عن علىّ بن ابى طالب رضه وجزم الشيخ عماد الدين ابن كثير فى تفسيره وقال لم يرد عن معصوم ان البيت كان مبنيًّا قبل الخليل عم انتهى، فهو يُنكر ما قدّمناه من الآثار وامّا على ما قدّمناه من الآثار فبناء ابراهيم صلعم اوّل مبنىّ بالنسبة الى من بناه بعده لا اوّل حقيقىّ والله تعالى اعلم،

وروى الازرقى رحه الله فى تاريخه عن ابن اسحاق ان الخليل عم لمّا بنى البيت جعل طوله فى السماء تسعة اذرع وجعل طوله فى الارض من قبل وجه البيت الشريف من الحجر الاسود الى الركن الشامى اثنتين وثلاثين ذراعًا وجعل عرضه فى الارض من قبل الميزاب من الركن الشامى الى الركن الغربى الذى يسمّى الآن الركن العراقىّ اثنين وعشرين

ذارعًا وجعل طوله فى الارض من جانب ظهر البيت الشريف من الركن الغربى المذكور الى الركن اليمانى احد وثلاثين ذراعاً وجعل عرضه فى الارض من الركن اليمانى الى الحجر الاسود عشرين ذراعاً وجعل الباب لاصقًا بالارض غير مرتفع عنها ولا مُنَكَّب حتى جعل لها تُبَّع الحِمْيَرِىُّ بابًا وغلقًا بعد ذلك ، وحفر ابراهيم عم فى بطن البيت على يمين مَنْ دخله حفرةً لتكون خزانة للبيت يوضع فيها ما يُهْدَى الى البيت فكان ابراهيم عم يبنى واسماعيل عم ينقل له الاحجار على عاتقه فلمّا ارتفع البنيان قرب له المقام فكان يقوم عليه ويبنى ويحوّله له اسماعيل عم فى نواحى البيت حتى انتهى الى موضع الحجر الاسود فقال ابراهيم لاسماعيل عم يا اسماعيل ائتنى بحجر أضَعُه هنا يكون علمًا للناس يبتدؤن منه الطواف فذهب اسماعيل فى طلبه فجاء جبريل عم الى سيّدنا ابراهيم عم بالحجر الاسود وكان الله عزّ وجلّ استودعه جبل ابى قُبَيْس حين طوفان نوح عم فوضعه جبريل فى مكانه وبنى عليه ابراهيم عم وهو حينئذ يتلألأ نورًا فأضاء بنوره شرقًا وغربًا وشامًا ويمنًا الى منتهى انصاب الحرم فى كلّ ناحية وانّما سَوَّدَتْه انجاس الجاهلية وارجاسها ، قال ولم يكن ابراهيم عم سقّف البيت ولا بناه بمَدَر وانّما رَضَّه رضًّا قال وذكر سنده الى عبد الله بن عمر ان جبريل عم نزل بالحجر على ابراهيم عم من الجنّة وانه وضعه حيث رأيتم وانكم لا تزالون بخير ما دام بين ظهرانيكم فتمسّكوا به ما استطعتم فانه يُوشك ان يجىء جبريل عم فيرجع به من حيث جاء به انتهى ، قال السيّد الامام تقى الدين الفاسى رحمه الله رَوَيْنا عن قتادة قال ذكر لنا ان الخليل عم بنى البيت من خمسة أجْبُل من طُور سينا وطُور زَيْتا ولُبْنان والجُودِىّ وحِرا قال وذكر لنا ان قواعده من

حِرًا قال ويُروى ان الخليل عم اسّس البيت من ستة أجْبُل من ابسى قُبَيْس ومن الطُّور ومن القُدْس ومن وَرِقَانَ ومن رَضْوَى ومن أُحُد. وقال الازرقى رحمه الله قال ابى وحدثنى جدّى عن سعيد بن سالم عن ابن جُرَيْج عن مجاهد انه قال كان موضع اللعبة قد خَفِىَ ودرس زمن الطوفان فيما بين نوح وابراهيم عليهما السلام قال وكان موضعه اكمة حمراء لا تعلوها السيول غير ان الناس كانوا يعلمون ان موضع البيت فيما هنالك من غير تَعْيِينٍ محلّه وكان يأْتيه المظلوم والمتعوّذ من اقطار الارض ويدعو عنده المكروب وما دعى عنده احدٌ الّا استجيب له وكان الناس يحجّون الى موضع البيت حتى بَوّأَ الله مكانه لابراهيم عم لمّا اراد عمارة بيته واظهار دينه وشرايعه فلم يزل منذ اهبط الله آدم الى الارض معظّمًا محترمًا عند الامم والملل. قال الامام ابو اسحاق احمد بن محمد ابن ابراهيم الثعلبى فى كتاب العرايس من قصص الانبياء عليهم السلام لمّا نجى الله خليله ابراهيم عم من نار النمرود وآمن به مَنْ آمن خرج مهاجرًا الى ربّه وتزوّج ابنة عمّه سارة وخرج بها يلتمس القرار بدينه والامان على نفسه ومن معه فقدم الى مصر وبها فرعون من الفراعنة الاولى وكانت سارة من احسن النساء وكانت لا تعصى ابراهيم وبذلك اكرمها الله تعالى فأَتَى ابليس الى فرعون وقال له ان هاهنا رَجُلاً معه امراة من احسن النساء فارسل الجبّار الى ابراهيم عم وقال له ما هذه المراة منك فقال هى أُخْتى وخاف ان قال هى امراتى ان يقتله فقال له زيّنها وارسلها الىّ فرجع ابراهيم الى سارة فقال لها ان هذا الجبّار قد سالنى عنك فاخبرته انك أُخْتى فلا تكذّبينى عنده فانك اختى فى كتاب الله تعالى فانه ليس مُسْلم فى هذه الارض غيرى وغيرك ثم

اقبلت سارة الى الجبّار وقام ابراهيم يصلّي وقد رفع الله الحجاب بين ابراهيم وسارة ينظر اليها منذ فارقته الى ان عادت اليه اكراماً له وتطييباً لقلب ابراهيم عم، فلمّا دخلت سارة الى الجبّار ورآها دهش في حسنها وجمالها ولم يملك نفسه ان مدّ يده اليها فيبست يده على صدره فلمّا راى ذلك اعظم امرها وقال لها سلي ربّك ان يطلق يدي عليّ فوالله اني لا أوذيك فقالت سارة اللهم ان كان صادقاً فاطلق له يده فاطلق الله له يده فوهب لها هاجر وهي جارية قبطية جميلة وردّها الى ابراهيم فاقبلت اليه فلمّا احسّ بها انفتل من صلاته وقال مَهْيَم قالت كفى الله كيد الفاجر ووهبني هاجر وقد وهبتها لك فلعلّ الله تعالى يرزقك منها ولداً وكانت سارة قد منعت الولد حتى أيست فوقع ابراهيم على هاجر فحملت وولدت له اسماعيل واقام ابراهيم بناحية من ارض فلسطين من الرملة وايلياء وهو يضيف من ياتيه وقد اوسع الله عليه وبسط له في الرزق والمال والخدم، فلمّا اراد الله تعالى هلاك قوم لوط بعث الله تعالى رسله يامرونه بالخروج من بين ظهرانيهم وامرهم ان يبدوا فيبشّرون ابراهيم وسارة باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب، فلمّا نزلوا عليهم سرّ بهم وقال لا يخدم هؤلاء القوم الّا انا فخرج فجاء بعجل سمين شواه بالحجارة وقرّبه اليهم فامسكوا ايديهم فنكرهم وأوجس منهم خيفة حيث لم ياكلوا من طعامه ثم قالوا لا تخف انّا أرسلنا الى قوم لوط وامرأته سارة قايمة تخدمهم فبشّروه باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب فضحكت سارة، قال ابن عبّاس ضحكت تعجّباً من ان يكون لها ولد على كبر سنّها وكانت بلغت تسعين سنة وبلغ ابراهيم ماية وعشرين سنة وقال مجاهد وعكرمة ضحكت اي حاضت من الوقت تقول العرب

فحكمت الأرنب اذا حاضت، قال الثعلبي فحملت سارة باسحاق وكانت حملت هاجر باسماعيل فوضعتا وشبّا الغلامان فتسابقا فسبق اسماعيل فاخذه ابراهيم واجلسه في حجره واخذ اسحاق الى جانبه فغضبت سارة وقالت عمدت الى ابن الأمة فاجلسته في حجرك وعمدت الى ابني فاجلسته الى جنبك واخذها ما ياخذ النساء من الغيرة فحلفت لتقطعن منها بضعة ولتغيّرن خلقها ثم ثاب اليها عقلها فتحيّرت في يمينها قال لها ابراهيم اخفضيها واثقبي أُذُنَيْها ففعلتْ ذلك فصارت سُنَّةً في النساء والخفاض بالمخجمات للنساء كالختان للرجال، ثم تضارب اسماعيل واسحاق كما يتهارش الاطفال فغضبت سارة على هاجر وحلفت ان لا تساكنها في بلد واحد وامرتْ ابراهيم ان يعزلها عنها فأوحى الله تعالى الى ابراهيم ان ياتي بهاجر وابنها الى مكة فذهب بهما حتى قدم مكة وهي اذ ذاك عضاهٌ وسلَمٌ وموضع البيت رُبْوَةٌ حمراء فعمد بهما الى موضع الحِجْر بسكون الجيم فانزلهما فيه وامرها ان يتخذا عريشًا ثم انصرف فتبعته هاجر فقالت الله امرك بهذا قال نعم قالت إذَنْ لا يضيّعنا فرجعت عنه وكان معها شَنٌّ ماءٍ فنفد فعطشتْ وعطش ولدها فنظرت الى الجبل فلم تَرَ داعيًا ولا مجيبًا فصعدت على الصَّفَا فلم تر احدًا ثم هبطت وعيناها من ولدها حتى نزلت في الوادي فغابت عنه فهَرْوَلَتْ حتى صعدت من الجانب الاخر فرآته واستمرّت الى ان صعدت المَرْوَةَ فما رأتْ احدًا فترددّتْ كذلك سبعًا فعادت الى ولدها وقد نزل جبريل عم فضرب موضع زمزم بجناحه فنَبَعَ الماء فبادرتْ هاجر اليه وحبستْهُ عن السَّيَلان كيلا يضيع الماء وفي لفظ النبوّة لولا انها عجلتْ لكان عينًا معينًا فشربتْ وارضعتْ ولدها وقال لهما جبريل لا تخافي

الضيعة فان هاهنا بيّن الله عزّ وجلّ ببنيه هذا الغلام وابوه وان الله لا يضيّع اهله ، قال الامام ابو عبد الله محمّد بن احمد بن ابى بكر القرطبى فى تفسيره لا يجوز لاحد ان يتعلّق بهذا الحديث فى جواز طرح ولده وعياله بارض مضيعة اتّكالاً على العزيز الرحيم واقتداء بفعل ابراهيم الخليل فانه فعل ذلك بامر الله تعالى ، وقد روى ان سارة لمّا غارت من هاجر بعد ان ولدت اسماعيل خرج بها ابراهيم عم الى مكة وانزل ابنه وأمّه هناك وركب منصرفًا من يومه وكان ذلك كلّه بوحى من الله تعالى ،

ولمآء زمزم من الشرف والخواصّ والمزايا ما لا يوجد لغيره ففى المستدرك من حديث ابن عبّاس رضه مرفوعًا مآء زمزم لِمَا شُرِبَ له ورجاله موثوقون الا انه اختلف فى ارساله ووصله وارساله اصحّ كذا فى فتح البارى لشرح البخارى ، وروى الدارقطنى عن ابن عبّاس قال قال رسول الله صلعم مآء زمزم لما شرب له وان شربتَهُ لشعبك اشبعك الله به وان شربته لقطع ظمأك قطعه وهى ضربة جبريل وسُقيا الله اسماعيل ، وعن عِكْرِمَةَ قال كان ابن عبّاس اذا شرب من زمزم قال اللهم انى اسالك علمًا نافعًا ورزقًا واسعًا وشفآء من كلّ داءٍ ، وفى صحيح البخارى قال ابو ذرّ رضه ما كان لى طعام الا مآء زمزم فسمنتُ حتى تكسّرت عُكَنُ بطنى وما أَجِدُ على كبدى سخفة جُوع وذكر انه اجتزأ به ثلاثين ما بين يوم وليلة ، وفى صحيح مُسْلم من حديث ابى ذرّ انه طَعَامُ طُعْمٍ وزاد الطيالسى فى الوجه الذى اخرجه مسلم وشفآء سُقْمٍ ، قال القاضى ابو بكر ابن العَرَبى رضه وهذا موجود فيه الى يوم القيمة لمن فَتَّشَ نِيَّتَهُ وسلمت طويّتُهُ ولم يكن مكذّبًا ولا لشربه مجرّبًا ، قلتُ ومن عجيب ما اطلعتُ عليه فى كتاب وفآء الوفا فى

اخبار دار المصطفى للسيّد نور الدين علىّ السّمْهُودى الشافعى عالم المدينة فى عصره ومحدّثها ومؤرّخها وقد اخذْنا عمّن اخذ عنه فنروى عنه بواسطة قال ان بالمدينة بئر تُعْرَف ببئر زَمْزَم لم يزل اهل المدينة قديمًا وحديثًا يتبرّكون بها ويشربون من مائها ويُنْقَل عنها مآءها الى الآفاق كما يُنْقَل مآء زمزم ويسمّونها ببير زمزم لبركتها انتهى ٠

رَجَعْنَا الى القصّة قالوا ومرّت رُفقة من جُرْهُم يريدون الشام فرأوا طيرًا يحوم على جبل ابى قُبَيْس فقالوا ان هذا الطير يحوم على مآء فتتبّعوه فاشرفوا على ببير زمزم فقالوا لهاجر ان شِئْتِ نَزَلْنا مَعَكِ وآنَسْنَاكِ والمآء مآءكِ نشرب منه فاذنتْ لهم فنزلوا معها وهم اوّل سُكّان مكة وتُوُفّيت هاجر وقبرها فى الحِجْر بسكون الجيم وشَبّ اسماعيل فتزوّج اسماعيل من جُرْهُم وتكلّم بلسانهم فتعرّب فيقال لبنى اسماعيل العَرَب المُتَعَرِّبة ويقال لجُرْهُم وقحطان العَرَب العَارِبة والعَرَب العَرْبَاء وكان لسان ابراهيم عبرانيًّا ولسان اسماعيل عَرَبِيًّا ٠ ثم ان ابراهيم عم استاذن سارة ان يَزُورَ هاجر وابنها فاذنَتْ له واشترطت ان لا ينزل عندها فقدم ابراهيم مكة وقد ماتت هاجر فأتى الى بيت اسماعيل فوجد امراته فسألها اين صاحبُكِ فقالت ذهب يتصيّد وكان اسماعيل عم يخرج من الحرم الى الحلّ يتصيّد ما يتعيّش به فقال لها هل عندكِ ضيافة من طعام او شراب قالت ليس عندى شئ فقال لها اذا جاء زَوْجُكِ فاقرئيه منّى السلام وقولى له غَيِّرْ عُتْبَةَ بَيْتِكَ وذهب ابراهيم عم ٠ فلمّا جاء اسماعيل عم قالت له جاءنى شيخ صفتُه كذا وكذا اقرأكِ السلام وقال لكِ غيّر عتبة بيتكِ فقال لها الحقى باهلكِ وتزوّج غَيْرَها ٠ فمكث ابراهيم مدّة ثم استاذن سارة ان يزور اسماعيل فاذنَتْ له واشترطت عليه ان لا ينزل فجاء ابراهيم الى

مكة وقدم على منزل اسماعيل فوجده غايباً فى الصيد فقال لامرأته اين صاحبك قالت ذهب يتصيّد ورحّبت به وقالت له اجلس رحمك الله وجاءته بلحم ولبن وماء فاكل وشرب فقالت له يا عمّ هَلُمّ حتى اغسل راسك وألُمّ شعثك وجاءته بحجر وهو حجر المقام الذى بنى عليه الكعبة فيها بعد فجلس عليه فغاصت رجلاه فى الحجر فغسلت شقّه الايمن ثم الايسر ثم افاضت الماء على راسه وبدنه الى ان فرغت من تنظيفه فقام من عندها وتوجّه من حيث جاء وقال لها اذا جاء صاحبك فاقرئى عليه السلام منّى وقولى له قد استقامت عتبة بابك فالزمها فلمّا جاء اسماعيل وجد رايحة ابيه فقال لها هل جاءك احد فقالت نعم جاءنى شيخ من احسن الناس وجهًا وأطيبهم ريحًا فاصفتُه وسقيتُه وغسلته وهذا موضع قدميه وحين توجّه اقراك السلام وقال لك كذا وكذا فقال نعم امرنى ان اثبت مَعَكِ وقبّل موضع قدم ابيه من الحجر وحفظه يتبرّك به الى ان بنى عليه فيما بعد ابراهيم عم الكعبة لمّا بناها هكذا فى قصص الانبياء وروى فيها ايضًا عن عبد الله بن عمر رضه انه قال اشهد بالله ثلاث مرّات انى سمعت رسول الله صلعم يقول الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنّة طمس الله نورهما ولولا ان طمس الله نورهما لاضاءا ما بين المشرق والمغرب ثم لمّا امر الله تعالى خليله ابراهيم عم ببناء بيته الشريف قدم الى مكة وبناه كما قدّمناه فلمّا فرغ من بناء بيت الله الحرام امره ان يؤذّن فى الناس بالحجّ فقال يا ربّ وما عسى ان يبلغ مدّ صوتى فقال عليك الاذان وعلينا الابلاغ فطلع على جبل ثبير ونادى يا عباد الله ان ربّكم قد بنى بيتًا وامركم ان تحجّوه فحجّوه واجيبوا داعىَ الله فاسمع الله صوته جميعَ مَنْ فى الدنيا ومن سيولَد ممّن هو فى اصلاب

الآباء وارحام الأمّهات الى يوم القيمة فاجابه مَنْ سَبَقَ فى علم الله انه سيحجّ ولّبى كلّ واحد بعدد حجّه فى اصلاب الآباء وارحام الامّهات ٥
واما أمْر الله تعالى ابراهيم بذبح ولده اسماعيل عم فقد اختلف العلماء فى ان المامور بذبحه اسماعيل او اسحاق فقال قوم هو اسحاق وذهب اليه عمر بن الخطّاب وعلىّ بن ابى طالب رضه وذهب عبد الله بن عمرو بن المسيّب والشعبى ومجاهد والحسن البصرى رضهم انه اسماعيل ٥ قال الامام ابو زكريّاء النّووى رحه الله فى كتابه التهذيب اختلف العلماء رحهم الله فى الذبيح هل هو اسماعيل او اسحاق عليهما السلام والاكثرون على انه اسماعيل عم انتهى ٥ وممّن رجّح كون الذبيح اسماعيل عم الحافظ عماد الدين اسماعيل ابن كثير رحه الله قال فى ترجمته وهو الصحيح وروى عن كعب الاحبار عن رجال قالوا لمّا أُرِى ابراهيم فى المنام ان يذبح ابنه وتحقّق انه امرُ ربّه قال لابنه يا بُنَىّ خذ الحبل والمُدْيَة وانطلق بنا الى هذا الشعب نحتطب لاهلنا فاخذ المدية والحبل وتبع والده فقال الشيطان لان لم افتن عند هذا آل ابراهيم لا افتن احدًا منهم ابدًا فتمثّل الشيطان رجلاً فأتى أُمّ الغلام فقال لها أتَدْرين اين ذهب ابراهيم بابْنِك قالت ذهب به ليحتطب لنا من هذا الشعب فقال لها الشيطان لا والله ما ذهب به الا ليذبحه قالت كَلّا هو اشفقُ به واشدُّ حبًّا له فقال لها انه يزعم ان الله امره بذلك قالت فان كان الله تعالى قد امره بذلك فليُطِعْ امرَهُ فخرج الشيطان من عندها حتى ادرك الابْنَ وهو يمشى على اثر ابيه فقال له يا غلام هل تدرى اين يذهب بك ابوك قال نحتطب لاهلنا من هذا الشعب فقال له والله ما يريد الا ذبحك قال لاىّ شىء قال زعم ان الله تعالى امره بذلك قال

فليفعل ما امره الله تعالى سمعاً وطاعةً لامر الله تبارك وتعالى ٭ فاقبل الشيطان الى ابراهيم عم فقال اين تريد ايّها الشيخ قال اريد هذا الشعب لحاجة لى فيه قال انى أرى ان الشيطان خدعك بهذا المنام الذى رايته انك تريد ذبح ابنك وفلذة كبدك فتندم بعد ذلك حيث لا ينفعك الندم فعرفه ابراهيم عم وقال له اليك عنّى يا ملعون فوالله لامضينّ لامر ربّى فنكّس ابليس على عقبيه ورجع خزيه وغيظه ولم يَنَلْ من ابراهيم ولا من ولده ولا من زوجته شيئًا ٭ فلمّا خلا ابراهيم عم فى الشعب ويقال ذلك فى ثبير فقال له يا بُنَىَّ انى ارى فى المنام انى أذبحك فانظر ما ذا ترى قال يا أبت افعل ما تُؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين ٭ قال فحُدِّثْتُ ان اسماعيل قال له عند ذلك يا أبتاه اذا اردت ذبحى فاشدد وثاقى لئلّا يصيبك شىء من دمى فينقص أجرى فان الموت شديد ولا آمن ان اضطرب عنده اذا وجدتُ مسّه واسحذ شفرتك حتى تجهز علىّ فتذبحنى فاذا انت اضجعتنى لتذبحنى فاكببنى على وجهى ولا تضجعنى لشقّى فانى اخشى ان انت نظرت الى وجهى ان تدركك الرِّقّة فتحول بينك وبين امر ربّك فىّ وان رايت ان تردّ قميصى الى أمّى فانه عسى ان يكون اسلاء لها فافعلْ فقال ابراهيم نعم العون انت يا بنىّ على امر الله ٭ ويقال انه رَبَطَه كما امره بالحبل فأوثقه ثم سحذ شفرته ثم تلّه للجبين واتّقى النظر الى وجهه ثم ادخل الشفرة حلقه فقلبها جبريل عم فى يده ثم اجتذبها اليه ونودى ان يا ابراهيم قد صدّقت الرويا فهذه ذبيحتك فداء لابنك فاذبحها دونه واتاه بكبش من الجنّة قبل رعى قبل ذلك باربعين خريفًا ٭ قال الفاكهى رحمه الله ذكر اهل الكتاب وكثير من العلماء ان الكبش الذى فُدِىَ به اسماعيل كبش

اصلح الفرن أعين ثم روى بسنده عن ابن عبّاس رضه انه هو القربان المتقبّل من احد ابنيْ آدم ، فانظرْ رحمك الله الى طاعة هذا الوالد امر الله تعالى من ذبح ابنه قرّة عينه وقطعة كبده والى طاعة هذا الولد امر الله تعالى وامر والده وانقياده كلّ الانقياد راضيًا مستسلمًا باذلاً روحه لله تعالى وانظرْ الى هذه الوالدة الشفيقة الرحيمة واطاعتها لامر الله تعالى واطاعة زوجها اللهم صلّ وسلّمْ عليهم افضل صلاتك وسلامك وعلى سايرِ الانبياء والمرسلين ، ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين ، وانفعنا ببركاتهم اجمعين ، وارزقنا التوفيق وحسن اليقين ، امين ،

قال الازرقي ثم وُلد لاسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام من زوجته السيّدة رعلة بنت مُضاض بن عمرو الجُرْهُمي اثنا عشر رجلاً منهم نابت ابنْ اسماعيل وقيدار بن اسماعيل وقطورا بن اسماعيل وكان عمر اسماعيل ماية وثلاثين عامًا ومات ودُفن في الحِجْر مع أُمّه فوَلِيَ البيت بعده نابت ابن اسماعيل ونشر الله العرب من نابت وقيدار فكثروا ونموْا ، ثم توفّي نابت فولي البيت بعده جدُّه لأُمّه مُضاض بن عمرو الجُرْهُمي وصَمّ بنى نابت بن اسماعيل وصار ملكًا عليهم وعلى جُرْهُم فنزلوا بِثَعْبَقِعَانَ بأعلى مكة وكانوا اصحاب سلاح كثير وينقعقع فيهم وصارت العمالقة وكانوا نازلين باسفل مكة الى رجل منهم ولّوه ملكًا عليهم يقال له السُّمَيْدَع ونزلوا بأَجْياد وكانوا اصحاب خيل وابل وكان الامر بمكة لمضاض بن عمرو دون السميدع الى ان حدث بينهما البَغْيُ واقتتلوا فقُتل السميدع وتمّ الامر لمضاض ابن عمرو وفي ذلك يقول

ونحن قتلنا سيّد الحيّ عَنْوَةً فاصبح فيها وهو حَيْرَانُ مُوجَعُ
وما كان ينبغي ان يكون خلافنا بها ملك حتى اتانا السُّمَيْدَعُ

فذاق وَبالًا حين حاول ملكنا وعانى مِنّا غُصّةً تتجرّعُ
فنحن عمرنا البيت كنّا ولاتُه ندافع عنه من اتانا ونَدْفَعُ
وما كان ينبغي ان يلي ذاك غيرنا ولم يكُ حيٌّ قبلنا ثمّ يَمْنَعُ
وكنّا ملوكًا في الدهور للّه مَصَّتْ ورثنا ملوكًا لا تُرام فتوضَعُ

ثم نشر الله بني اسماعيل وخُؤولتهم من جُرْهُم وكانت جُرْهُم وُلاة البيت لا ينازعهم بنو اسماعيل لخُؤولتهم وقرابتهم فلمّا ضاقت عليهم مكة انتشروا في الارض فلا يأتون قومًا ولا ينزلون بلدًا الّا اظهرهم الله عليهم بدينهم وهو يومئذ دين ابراهيم حتى مَلَأُوا البلاد ونَفَوْا عنها العمالقة وكانوا ولاة مكة وكانوا ضيّعوا حُرمة الحرم واستحلّوها واستخفّوا بها فاخرجهم الله من ارض الحرم، قال ثم ان جُرْهُمًا استخفّت بامر البيت الحرام وارتكبوا الامور العظام واحدثوا فيها ما لم يكن قبل ذلك فقام فيهم مُضاض بن عمرو ابن الحارث بن مضاض بن عمرو خطيباً فقال يا قوم احذروا البغي فقد رايتم من كان قبلكم من العمالقة كيف استخفّوا بالبيت فلم يعظموه فسلّطكم الله عليهم فاخرجتموهم فتفرّقوا في البلاد وتمزّقوا كلّ ممزّق فلا تستخفّوا بحقّ بيت الله تعالى فيخرجكم منه، فلم يطيعوه وذلّلهم الشيطان بالغرور وقالوا من يخرجنا ونحن اعزّ العرب واكثرها رجالًا وسلاحًا فقال لهم اذا جاء امر الله بطل ما تقولون، فلمّا راى مضاض بن عمرو ذلك عمد الى غزالتَيْن من ذهب كانتا في الكعبة وما وجد فيها من الاموال لله كانت تُهْدى الى الكعبة ودفنها في بير زَمْزَم وكانت بير زمزم قد نَضَبَ ماؤها فحفرها بالليل واعمق الحفر ودفن فيهما تلك الغزالتَيْن والاموال وطمّ البير واعتزل جُرْهُمًا واخذ معه بني اسماعيل وخرج من مكة، فجاءت خُزاعَةُ فاخرجت جرهمًا من البلاد وولّيت امر مكة وصاروا

اهلها فجاءت بنو اسماعيل وكانوا قد اعتزلوا ايضًا حرب جرهم وخزاعة فسالوا خزاعة السكن معهم مكة فاذنوا لهم وسالهم فى ذلك مُضَاضُ بن عمرو الجرهمى وكان قد اعتزل ايضًا حرب جرهم وخزاعة ولم يدخل بينهما واستاذنهم ان يساكنهم فَأَبَتْ خزاعةُ ذلك وقالوا من قارب الحرم من جُرْهُمٍ فَدَمُهُ هدرٌ فنزعت ابلٌ لمضاض بن عمرو ودخلت مكة فاخذتْهَا خزاعةُ وصارت تنحرها وتاكلها فتبع مضاض اثرها فوجدها دخلتْ مكة فسلك الجبال حتى طلع على جبل ابى قُبَيْس يتبصّر لابله فى بطن وادى مكة فابصر الابل تُنْحَر وتوكل ولا سبيل اليها وراى انه ان هبط الوادى قُتل فولّى منصرفًا الى اهله وانشا يقول

كَأَنْ لم يكن بين الحجون الى الصَّفَا ... انيسٌ ولم يَسْمُرْ بمكّة سامرُ
ولم يتربّع واسطًا فجنوبُه ... الى المُنْحَنَا من ذى الاراكة حاضرُ
بلى نحن كُنّا اهلها فأَبادنا ... صُرُوف الليالى والجدود العواثرُ
وابدلنا عنها الأَسَى دارَ غُرْبَةٍ ... بها الذئبُ يَأْوى والعدوُّ محاضرُ
وكُنّا وُلاة البيت من بعد نابت ... نطوف بهذا البيت والخير ظاهرُ
وكنا لاسماعيل صهرًا وجيرةً ... فابناؤُه مِنّا ونحن الاصاهرُ
فاخرجنا منها المليك بقُدْرَةٍ ... كذلك بين الناس تجرى المقادرُ
وصِرْنا احاديثًا وكُنّا بِغِبْطَةٍ ... كذلك عَضَّتْنا السنون الغوابرُ
وسَحّت دموع العين تبكى لبلدةٍ ... بها حَرَمٌ أَمْنٌ وفيها المشاعرُ
بوادٍ انيسٍ لا يُطَار حَمَامُهُ ... ولا ينفرن يومًا لديها العصافرُ
وفيها وحوش لا تَرام انيسةٌ ... اذا خرجت منها فما اذنت غادرُ
فيا ليت شعرى هل يُعَمِّر بعدنا ... جيادٌ ويقضى سَيْلُه والظواهرُ
وهل فرحٌ يأتى بشىءٍ نسرُّه ... وهل جزعٌ يُنْجيك ممّا نحاذرُ

وانطلق مضاض بن عمرو ومن معه الى اليمن وهم يحزنون على مفارقة مكة وحازت خزاعة حجابة بيت الله الحرام وولاية امر مكة وفيهم بنو اسماعيل لا ينازعونهم فى شىء ولا يطلبونه الى ان كبر شان قُصَىّ بن كلاب بن مُرّة فاستولى على حجابة البيت وامر مكة وكان قُصَىّ اول رجل من بنى كِنانَة اصاب بمكة ملكًا فكانت اليه الحجابة والرفادة والسقاية والندوة واللواء والقيادة وهو الذى جمّع امر قريش فسُمّى مُجَمِّعًا بكسر الميم المشددة وفى ذلك يقول القايل

ابوكم قُصَىٌّ كان يُدْعَى مُجَمِّعًا به جمّع اللهُ القبايل من فِهْر

هم ملكوا البطحاء مجدًا وسوددًا وهم طردوا عنها غُزَاةَ بنى عمرو

وقيل سُمّيت قريش قُرَيْشًا لتجمّعهم على قصىّ والتقرّش هو الاجتماع وما كان يُسَمّى قريش قبل ذلك قريشًا وقيل ان النَّضْرَ بن كنانة كان يُسَمّى قريشًا، واستمرّ بنو قصىّ كذلك الى زمن ظهور النبىّ صلعم وقد أَطَلْنا اللام، فى هذا المقام، وهو مع ذلك قطرة بحر فانتخبنا منه هذا المقدار، لاشتماله على فنون من الاعتبار،

الخامس والسادس بناء العمالقة وجُرْهُم ذكر الازرقىُّ ذلك وذكر بسنده الى سيّدنا امير المومنين على بن ابى طالب كرّم الله وجهه انه قال فى خبر بناء ابراهيم عم للكعة ثم انهدم فبَنَتْه العمالقة ثم انهدم فبَنَتْه قبيلة من جرهم، وذكر الفاكهىُّ بسنده الى سيّدنا على بن ابى طالب ايضًا انه قال اول من بنى البيت ابراهيم عم ثم انهدم فبَنَتْه جرهم ثم انهدم فبنته العمالقة قال السيّد التقى الفاسىُّ رحمه الله قلت هذا يقتضى ان جُرْهُمًا بَنَت البيت الشريف قبل العمالقة والخبر الاول يقتضى ان العمالقة بَنَتْه قبل جرهم وبه جزم المحبُّ الطبرىُّ فى القرى، وذكر المسعودى فى كتابه

مُرُوج الذهب ان الذى بنى الكعبة من جرهم هو الحارث بن مضاض الاصغر وانه زاد فى بناء البيت ورفعه كما كان على بناء ابناء ابراهيم عم والله اعلم بحقيقة الحال ، وذكر الازرقى شيئًا من خبر العمالقة يقتضى سبقهم على جرهم فانه روى بسنده الى سيّدنا عبد الله بن عبّاس رضه انه قال كان بمكة حيّ يقال لهم العماليق كانوا فى عزّة وثروة وكانت لهم خيل وابل وماشية ترعى حول مكة وكانت العِضَاهُ ملتفّة والارض مبقلة وكانوا فى عيش رخىّ فبغوا فى الارض واسرفوا على انفسهم واظهروا المظالم والالحاد وتركوا شكر الله فسلبوا نعمتهم وكانوا يُكْرون بمكة الظلّ ويبيعون الماء فاخرجهم الله تعالى من مكة بان سلّط عليهم النمل حتى خرجوا من الحرم ثم ساقهم بالجدب حتى ألحقهم الله تعالى بمساقط روس آبائهم ببلاد اليمن فتفرّقوا وهلكوا وابدل الله تعالى بعدهم الحرم بجُرْهم فكانوا سُكّانه الى ان بغوا فيه ايضًا فاهلكهم الله جميعًا انتهى ،

السابع بناء قُصَىّ للكعبة الشريفة المعظمة ذكر الزبير بن بكّار قاضى مكة فى كتاب النسب ان قُصَىّ بن كلاب لمّا ولى امر البيت جمع تفقده ثم هدم الكعبة فبناها بنيانًا لم يَبْنه احدٌ ممّن بناها قبله مثله ، وقال ابو عبد الله محمّد بن عايذ الدمشقى فى مغازيه ان قُصَىّ بن كلاب بنى البيت الشريف وجزم به الامام الماوردى فى الاحكام السلطانية فانه قال فيها اول من جدّد بناء الكعبة من قريش بعد ابراهيم عم قصىّ بن كلاب بنى البيت الشريف وسقّفه بخشب الدَّوْم وجريد النخل انتهى ، قال السيّد النقى الفاسى فى شفاء الغرام وما رواه القاضى الزبير بن بكّار ان قُصَيًّا بنى الكعبة على خمسة وعشرين ذراعًا ففيه نظرٌ لما اشتهر فى الاحكام السلطانية فانه قال ان ابراهيم الخليل عم بنى طول الكعبة تسعة

اذرع وان قريشاً لمّا بنَت الكعبة زادت فى طولها تسعة اذرع وان قصيًّا اراد ان يجعل عرضها خمسة وعشرين ذراعًا فالمعروف ان عرضها من الجهة الشرقية والغربية لا ينقص عن ثلاثين ذراعًا فى بناء الخليل عم بل يزيد على خلاف مقدار الزيادة وان اراد عرضها من الجهة الشامية واليمانية فعرضها فى هاتَين الجهتَين ينقص عن خمسة وعشرين ذراعًا ثلاثة اذرع او أزيد وكلّ من بنى الكعبة بعد ابراهيم عم لم يبنها الاّ على قواعد ابراهيم غير ان قريشًا اقتصرت من عرضها من جهة الحِجْر الشريف لامرٍ اقتضاه الحال وصنع ذلك الحجّاج بعد عبد الله بن الزبير عنادًا له والله تعالى اعلم ،

وكان مَبْدَأُ امر قُصَيّ ان اباه كِلاب بن مُرّة تزوّج فاطمة بنت سعد بن سَيْل فولدت له زُهْرة وقُصَيًّا فهلك كلابٌ وقصيٌّ صغير وهو بضمّ القاف وفتح الصاد المهملة تصغير قَصِيّ بفتح القاف وكسر الصاد بمعنى بعيد واسمه زَيْد وانّما لُقّب قُصَيًّا لانه أُبْعِد عن اهله ووطنه مع أمّه لمّا تزوّجت ابوه فانّها تزوّجت ربيعة بن حَرام فرحل بها الى الشام وولدت له دَرّاجًا ، فلمّا كَبُر قُصَيٌّ وقع بينه وبين آل ربيعة شرٌّ فعيّروه بالغُربة وقالوا له الا تلحق بقومك وكان لا يَعْرف له ابًا غير ربيعة بن حَرام زوج أُمّه فشكى اليها ما عيّروه به فقالت له يا ولدى انت اكرمُ اباءً منهم انت ابن كلاب بن مُرّة وقومك بمكّة عند البيت الحرام فقَدِم مكة فعرّف له قومه فضله وقدّموه واكرموه ، وكانت خزاعة مستولية على البيت وعلى مكة وكان كبيرهم حُلَيْل بن حَبَشيّة الخزاعىّ بيده مفتاح البيت الشريف وسدانته فخطب الى حُلَيْل ابنتَهُ فعرف حليل نسبَهُ فزوّجه ابنته حُبّى فتزوّجها قصيٌّ وكثرت اولاده واموله وعظم شرفه وهلك حليل وأوصى

بمفتاح البيت الشريف لابنته حُبّى فقالت لا اقدر على السدانة فجعلت ذلك لابى غُبْشَانَ وكان سكّيرًا يُحِبُّ الخمر فاعوزه فى بعض الاوقات ما يشربه من الخمر فباع مفتاح البيت بزِقّ خمر فاشتراه منه قصىّ وسار فى الامثال أَخْسَرُ صَفْقَةً من ابى غُبْشَانَ ، فلمّا صار المفتاح الى قصىّ تناكرته خُزَاعَةُ وكثر كلامهما عليه فاجتمع على حربهم فحاربهم واخرجهم من مكة وولى قصىّ امر اللعبة ومكة وجمع قومه فملّكوه على انفسهم وكانوا يحترمون ان يسكنوا بمكّة ويعظمونها عن ان يبنوا بها بيتًا مع بيت الله تعالى وكانوا يكونون بها نهارًا فاذا أمسوا خرجوا الى الحلّ ولا يستحلّوا الجنابة بمكة ، فلمّا جمع قصىّ قومه اليه اذن لهم ان يبنوا بمكة بيوتًا وان يسكنوها وقال لهم انكم ان سكنتم الحرم حول البيت هابَتْكم العَرَبُ ولم تستحلّ قتالكم ولا يستطيع احدٌ اخراجكم فقالوا له انت سيّدُنا ورأْيُنا نتبع لرأْيك فجعلهم حول البيت وفى ذلك يقول القايل

ابوكم قُصَىٌّ كان يُدْعَى مُجَمِّعًا به جمّع اللهُ القبايل من فِهْر

وانتم بنو زَيْدٍ وزَيْدٌ ابوكم به زِيدَت البطحآء فخرًا على فخر ،

وابتدأَ هو فبنَى دار النَّدْوَةِ والنَّدْوَةُ فى اللغة الاجتماع وكانوا يجتمعون فيها للمشورة وغيرها من المهمّات فلا تنكح امراة ولا يتزوّج رجل من قريش الّا فيها ، قال الازرقى ولا يدخل من قريش ولا غيرهم الّا ابن اربعين سنة وكان ولد قصىّ يدخلها كلّهم اجمعون ، وقسم جهات البيت الشريف بين طوايف قريش فبنوا دُورَهم حول اللعبة الشريفة من جهاتها الاربع وتركوا للطواف ببيت الله تعالى مقدارًا يقال انه المفروش الآن حول البيت الشريف بالحجر المنحوت المسمّى بالملساف الشريف

وشرّعوا ابواب بيوتهم الى نحو البيت وتركوا ما بين كلّ بيتين طريقًا ينفذ منه الى المطاف الى ان زاد عمر رضه في المسجد الحرام وتبعه عثمان رضه وتبعهما غيرهما على ما سيأتي تفصيله ان شاء الله تعالى، وكان قُصَيّ اول ملك من بني كعب بن لُؤَيّ اصاب ملكًا فاطاعه به قومه وله كلمات حكم تُؤثَر عنه منها من اكرم لئيمًا أشركه في لُؤمه ومن استحسن قبيحًا ترك الى قُبحه ومن لم تصلحه اللزامة اصلحه الهوان ومن طلب فوق قدره استحقّ الحرمان، وكان اجتمع لقُصَيّ ما لم يجتمع لغيره من المناصب فكان بيده الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء والقيادة فالحجابة هي سدانة البيت الشريف اى تولية مفتاح بيت الله تعالى، والسّقاية اسقاء الحجيج كلّهم الماء العذب وكان عزيزًا بمكة يُجلَب اليها من الخارج فيُسقى الحجّاج منه وينبذ لهم التمر والزبيب فيسقونه للحُجّاج وكانت وظيفة فيهم، والرّفادة وذلك اطعام الطعام لسايرِ الحجّاج تمدّ لهم الأسمطة في ايّام الحجّ وكانت السقاية والرفادة مستمرّة الى ايّام الخلفاء ومن بعدهم من الملوك والسلاطين قال السيّد التقي الفاسيّ رحمه الله ان الرفادة كانت ايام الجاهلية وصدر الاسلام واستمرّت الى ايامنا وقال وهو الطعام يُصنع بامر السلطان كلّ عام يمنّى للناس حتى ينقضي الحجّ قلتُ وامّا في زماننا فلا يُفعَل شيء من ذلك ولا أدري متى انقطع، وامّا النّدوة فقد تقدّم بيانها، وامّا اللواء فراية يلوونها على رُمح وينصبونها علامةً للعسكر اذا توجّهوا الى محاربة عَدُوّ فيجتمعون تحتها ويقاتلون عندها، والقيادة امارة الجيش اذا خرجوا الى حرب، وهذه كلّها اجتمعت في قُصَيّ فلمّا كبر سنّه وضَعُف بدنه قسمها بين اولاده وكان عبد الدار اكبر اولاده وكان عبد مناف شَرُفَ في زمان ابيه فقال قصيّ

لعبد الدار لَأُلْحِقَنَّك يا بُنَيَّ بالقوم وان شرفوا عليك فاعطاه الحجابة وسلم
اليه مفتاح البيت وقال لا يدخل رجل منهم الكعبة حتى تكون انت
تفتحها له واعطاه السقاية واللواء وقال لا يشرب احد الّا من سقايتك
ولا يَعْقد لواء لقريش لحربها الّا انت بيَدِك، وجعل له الرفادة وقال له لا
ياكل احد من اهل الموسم طعامًا الّا من طعامك، وكانت الرفادة خرجًا
تخرجه قريش من اموالها في كلّ موسم فتدفعه الى قصيّ فيَصْنع به طعامًا
للحاجّ فياكله من لم يكن له سعة ولا زادٌ وكان قصيٌّ فرض ذلك على
قريش حين جمعهم وقال لهم يا معشر قريش انكم جيران الله واهل
بيته واهل حرمه وان الحاجّ ضيفُ الله وزُوّار بيته وهم احقُّ الاضياف
بالكرامة فاجعلوا لهم طعامًا وشرابًا ايام الحجّ حتى يَصْدُروا عنكم، فجعل
قصيٌّ كُلَّما كان بيده من امر قومه الى عبد الدار وكان قصيٌّ لا يخالف
ولا يُرَدُّ عليه شيء صنعه لعظم شانه ونفاذ سلطانه، قال ابن اسحاق ثم
ان قصيًّا هلك فاقام على امره بنوه من بعده ثم ان بني عبد مناف
هاشمًا وعبد شمس والمطّلب ونَوْفَلًا اجمعوا على ان ياخذوا ما بأيدي
بني عبد الدار من الحجابة واللواء والسقاية والرفادة ورأَوْا انّهم أَوْلَى بذلك
منهم لشرفهم عليهم وفضلهم، وتفرّقت قريش فكانت طايفة منهم
يَرَوْنَ ان بني عبد مناف احقُّ من بني عبد الدار وطايفة يَرَوْنَ ابقاء
بني عبد الدار على ما جعله قصيٌّ لأَبِيهم فاجمعوا على الحرب ثم
اصطلحوا على ان تكون السقاية والرفادة لبني عبد مناف والحجابة
واللواء والندوة لبني عبد الدار وتحالفوا على ذلك فولي الرفادة والسقاية
هاشم، وكان عبد شمس سَفّارًا مُقِلًّا ذا ولد وكان هاشم مُوسِرًا وهو اول
من سَنّ الرحلتَيْن لقريش رحلة الشتاء ورحلة الصيف وهو اول من

اطعم الثريد بمكة واسمه عمرو وانما سُمّي هاشماً لهَشْمِهِ الخُبز وثرده لقومه كما قال القايل

عمرو الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف

سُنّتْ اليه الرحلتان كلاهما سفر الشتاء ورحلة الاصياف ،

ثم هلك هاشم بغزّة من ارض الشام تاجراً فولى السقاية والرفادة اخوه المطّلب بن عبد مناف وكان ذا شرف وكرم وكان يُسَمّى الفَيْض لسماحته وفضله وكان اصغر من عبد شمس فتوفّى المطّلب برَوْمَانَ من ارض اليمن وتوفى عبد شمس بمكة وتوفى نوفل بالعراق ، ثم ولى عبد المطّلب بن هاشم السقاية والرفادة بعد عمّه المطلب فاقام لقومه ما كانت تقيمه آباؤه من قبله وشرف فى قومه شرفاً لم يبلغه احدٌ من آبائه وأحبّه قومه وعظم خطره فيهم وكان اكبر اولاده للحارث لم يكن له اول امره غيره وبه كان يكنّى فقال له عدىّ بن نوفل بن عبد مناف يا عبد المطلب اتستطيل علينا وانت فَذٌّ لا ولدَ لك فقال له عبد المطلب اوبالقلّة تُعَيّرنى فوالله لَئِن اتانى الله تعالى عشرة من الولد لأنحرنّ احدهم عند الكعبة ، فلما كمّل له عشرة جمعهم ثم اخبرهم بنذره ودعاهم الى الوفاء لله بذلك فاطاعوا وقالوا له اوفِ بنذرك وافعل ما شِئْتَ قال ليأخذ كلُّ واحد منكم قدحاً فيكتب فيه اسمه ثم ائتونى ففعلوا ودخل بهم على هُبَل وهو صنمٌ كان يُعْبَدُ فى جوف الكعبة فقال عبد المطلب لصاحب القداح اضْرب على هولاء بقداحهم فاعطاه كلُّ واحد قدحه وكان عبد الله بن عبد المطلب اصغرهم سنّا واحبّهم الى والده ثم ضرب صاحب القداح فخرج السهمُ على عبد الله فأخذ عبد المطلب بيده واخذ الشَّفْرَة ثم اقبل به على اساف وهو صنم كان على الصّفا ليَذْبحه

عنده فجذب العبّاس عبدَ الله من تحت رِجْلِ ابيه حتى اثر فى وجهه شَجَّةً ثم نزل فى وجه عبد الله الى ان مات فقامت قريش من أنديتهما وقالوا لَيِنْ فعلت هذا لا يزال الرجل ياتى بابنه فيذبحه فما بقى النساس على هذا ولكن اعذر فيه فنفديه باموالنا وكان بالحجاز عرّافةٌ كاهنة لها تبعٌ من الجنّ فانطلقوا به حتى قدموا عليها وقصّ عليها عبد المطلب خبر نذره فقالت لهم ارجعوا عنّى اليوم حتى ياتينى تابعى وسَسلَ فاسساله فرجعوا من عندها ثم عدوا عليها فقالت لهم كم الدِّيَةُ فيكم فقالوا عشرة من الابل فقالت لهم قرّبوا عن ولدكم عشرة من الابل ثم اضربوا عليها وعليه فان خرجت على ولدكم فزيدوا عشرة اخرى واضربوا عليها وعلى ولدكم واستمرّوا كذلك الى ان يخرج السهمُ على الابل فانحروها عنه فقد رضى ربُّكم ونجّى ولدكم فخرجوا حتى قدموا مكة فقرّبوا عشرة من الابل فضربوا القداح فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرة فخرج على عبد الله واستمرّوا يزيدون عشرة فعشرة حتى بلغت الابل ماية فخرج القدح على الابل فاعادوه ثانيةً ثم ثالثةً فخرج القدح على الابل فأُتِىَ بها فنُحِرَتْ ثم تُرِكَتْ لا يُمْنَعُ عن لُحُومِها ادمىٌّ ولا وحشٌ ولا طيرٌ قال الزُّهْرى وكان عبد المطلب اول من سَنَّ دية النفس مايةً من الابل فجرت فى قريش ثم نشأت فى العرب واقرّها رسول الله صلعم

الثامن بناء قُرَيْش للكعبة المعظمة قال خاتمة الحُفّاظ والمحدّثين مولانا الشيخ محمّد الصالحى قدّس الله تعالى روحه فى كتابه سُبُل الهُدَى والرَّشاد فى سيرة خَيْرِ العباد وهو احسن كتاب للمتأخّرين واسبطه فى السيرة النبوية ونقلنا به اجازة عامّة رحمه الله ان امراة جمّرت الكعبة بالبخور فطارت شرارة من مِجْمَرِها فى ثياب الكعبة فاحترق اكثرُ اخشابها

ودخلها سَيْل عظيم فصدع جدرانها بعد تَوْهينها فأرادوا ان يشدّوا بنيانها ويرفعوا بابها حتى لا يدخلها الاّ من شاءوا وكان البحر قد رمى بسفينة الى ساحل جُدَّة لتاجرٍ رُومِيّ اسمهُ بَاقُوم بموحّدة وقاف مضمومة وكان بَنّاءً نجّارًا فخرج الوليد بن المغيرة فى نفر من قريش الى جُدَّة فابتاعوا خشب السفينة وكلموا بَاقُوم الرومىّ ان يقدم معهم الى مكة فقدم اليها واخذوا اخشاب السفينة اعدّوها لسقف الكعبة المشرفة، قال الأَمَوِيّ كانت هذه السفينة لقَيْصَر ملك الروم تحمل فيها الرخام والخشب والحديد مع باقوم الى الكنيسة التى احرقها الفرس بالحَبَشَة فلمّا بلغت قريب مَرْسَى جُدَّة بعث الله عليها ريحًا فحطمتها انتهى، قلتُ لا تُعْرَف طريقٌ بين بحر الروم والحبشة يمرّ فيها على جُدَّة الا ان يكون ملك الروم طلب ذلك من ملك مصر فجهّزها له من بَنْدَر السُّوَيْس او الطُّور او نحو ذلك، قال ابن اسحاق وكان بمكّة قبطىٌّ يعرف نَجْرَ الخشب وتسويته فوافقهم ان يعمل لهم سقف الكعبة ويساعده باقوم، قال وكانت حَيَّة عظيمة تخرج من بير الكعبة التى يُطْرَح فيها ما يُهْدَى الى الكعبة تشرف على جدار الكعبة لا يدنو منها احدٌ الاّ كَشَّتْ وفتحتْ فاها وكانوا يهابونها ويزعمون انها تحفظ الكعبة وهداياها وان رأسها كرأس الجَدْى وظهرها وبطنها اسود وانها اقامت فيها خمسمائة سنة، وقال ابن عُيَيْنَة فبعث الله تعالى طايرًا فاختطفها وذهب بها فقالت قريش نرجو ان يكون الله تعالى رضى لنا بما أَرَدْنا فِعْلَهُ فاجمع رايهم على هدمها وبنائها، قال ابن هشام فتقدّم عايذ بن عِمْران بن مخزوم وهو خال ابى النبىّ صلعم فتناول حجرًا من الكعبة فوثب من يده حتى رجع الى مكانه فقال يا معشر قريش لا تدخلوا فى بنيانها من مالكم الاّ حلالاً طيّبًا

ليس فيه مَهْر بغيّ ولا رِبًا ولا مظلمة ٥ ثم ان قريشًا اقتسمت جوانب البيت فكان شقّ الباب لبنى زُهْرة وبنى عبد مناف وما بين الركن الاسود والركن اليمانى لبنى مخزوم ومن انضمّ اليهم من قريش وكان ظهر الكعبة لبنى جُمَح وبنى سَهْم وكان شقّ الحِجْر لبنى عبد الدار وبنى اسد ابن عبد العُزّى وبنى عدىّ بن كعب وجمعوا الحجارة وكان رسول الله صلعم ينقل معهم حتى اذا انتهى الهدم الى الاساس فأفضوا الى حجارة خُضْر كالأَسْنِمَة فضربوا عليها بالمَعْوَلِ فخرج برقٌ كاد ان يخطف البصر فانتهوا عند ذلك الاساس ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الركن فاختصم فيه القبايل كلُّ قبيلة تريد ان ترفعه الى موضعه وكادوا ان يقتتلوا على ذلك فقال لهم ابو أُمَيّة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكان شريفًا مطاعًا اجعلوا الحَكَمَ بينكم فيما اختلفتم فيه أوّلَ من يدخل من باب الصَّفَا فقبلوا منه ذلك فكان اول داخل رسول الله صلعم فلمّا رأَوْه قالوا هذا مُحَمَّدٌ الأَمِينُ وكان يُسَمّى قبل ان يُوحَى اليه امينًا لامانته وصدقه فقالوا جميعًا رضينا بحُكْمه ثم قَصُّوا عليه قِصَّتَهم فقال عليه الصلاة والسلام هَلُمّ الىّ ثوبًا فأُتِىَ به فاخذ الركن فوضعه بيده فيه ثم قال ليأخذ كبير كلّ قبيلة بطرفٍ من هذا الثوب فحملوه جميعًا واتوا به ورفعوه الى ما يحاذى موضعه فتناوله رسول الله صلعم من الثوب ووضعه بيده الشريفة فى محلّه وفى ذلك يقول هُبَيْرة بن ابى وهب المخزومىُّ

تَشَاجَرَت الاحياءُ فى فَصْلِ خُطَّةٍ ... جَرَتْ طيرهم بالنَّحْس من بعد أَسْعَد

تلاقوا بها بالبُغْض بعد مَوَدَّة ... وأَوْقَدَ نارًا بينهم شرّ مُوقَد

فلمّا رَأَيْنا الامر قد جَدَّ جِدُّه ... ولم يَبْقَ شىءٌ غير سَلِّ المُهَنَّد

رضينا وقُلْنا العَدْلُ أوّلُ طالعٍ ... يجىء من البَطْحاء من غير مَوْعد

فَفَاجَأَنَا هٰذَا الْاَمِينُ مُحَمَّدٌ ... فَقُلْنَا رَضِينَا بِالْاَمِينِ مُحَمَّدِ

بِخَيْرِ قُرَيْشٍ كُلِّهَا أَمْسَ سَيِّدٌ ... وَفِي الْيَوْمِ مَهْمَا تَحْدُثِ اللهُ فِي غَدِ

فَجَاءَ بِأَمْرٍ لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ ... أَعَمَّ وَأَرْضَى فِي الْعَوَاقِبِ وَالْبَدِ

أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الرِّدَاءِ وَكُلُّنَا ... لَهُ حِصَّةٌ مِنْ رَفْعِهَا قَبْضَةُ الْيَدِ

فَقَالَ ارْفَعُوا حَتَّى اذَا مَا عَلَتْ بِهِ ... أَكُفُّهُمُ وَافَى بِهِ خَيْرُ مُسْنَدِ

وَكُلٌّ رَضِينَا فِعْلَهُ وَصَنِيعَهُ ... فَاعْظِمْ بِهِ مِنْ رَأْيِ هَادٍ وَمُهْتَدِ

وَتِلْكَ يَدٌ مِنْهُ عَلَيْنَا عَظِيمَةٌ ... يَرُوحُ بِهَا هٰذَا الزَّمَانُ وَيَغْتَدِي ،

وَلَمَّا بَنَتْ قُرَيْشٌ الْكَعْبَةَ جَعَلَتْ ارْتِفَاعَهَا مِنْ خَارِجِهَا ثَمَانِيَةَ عَشَرَ ذِرَاعًا مِنْهَا تِسْعَةُ اذْرُعٍ زَائِدَةٌ عَلَى مَا عَمَّرَهُ الْخَلِيلُ عم وَنَقَصُوا مِنْ عَرْضِهَا اذْرُعًا مِنْ جِهَةِ الْحِجْرِ لِقِصَرِ النَّفَقَةِ الْحَلَالِ لِلّٰهِ اعَدُّوهَا لِعِمَارَةِ الْكَعْبَةِ وَرَفَعُوا بَابَهَا عَنِ الْاَرْضِ لِيُدْخِلُوا مَنْ شَاءُوا وَيَمْنَعُوا مَنْ شَاءُوا وَجَعَلُوا فِي دَاخِلِهَا سِتَّ دَعَائِمَ فِي صَفَّيْنِ ثَلَاثٌ فِي كُلِّ صَفٍّ مِنْ شِقِّ الْحِجْرِ الَى الشِّقِّ الْيَمَانِي وَجَعَلُوا فِي رُكْنِهَا الشَّامِي مِنْ دَاخِلِهَا دَرَجَةً يَصْعَدُ مِنْهَا الَى سَطْحِ الْكَعْبَةِ الْمُشَرَّفَةِ ، تَنْبِيهٌ اخْتُلِفَ فِي سِنِّ رَسُولِ اللهِ صلعم حِينَ بَنَتْ قُرَيْشٌ الْكَعْبَةَ فَقِيلَ كَانَ ابْنَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَهُوَ اَشْهَرُ الْاَقْوَالِ وَرُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ اَنَّ ذٰلِكَ قَبْلَ الْمَبْعَثِ بِخَمْسَ عَشَرَ عَامًا وَالَّذِي جَزَمَ بِهِ ابْنُ اِسْحَاقَ اَنَّهُ كَانَ قَبْلَ الْمَبْعَثِ بِخَمْسِ سِنِينَ وَاللهُ اَعْلَمُ ،

التَّاسِعُ بِنَاءُ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ لِلْكَعْبَةِ الشَّرِيفَةِ فِي زَمَنِ الْاِسْلَامِ ، وَسَيَاتِي تَفْصِيلُ ذِكْرِهِ وَمَا وَقَعَ لَهُ فِي الْبَابِ الثَّالِثِ فِي بَيَانِ مَا كَانَ عَلَيْهِ وَضْعُ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فِي اَيَّامِ الْجَاهِلِيَّةِ وَصَدْرِ الْاِسْلَامِ اِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى ،

الْعَاشِرُ بِنَاءُ الْحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ الثَّقَفِي بَعْدَ بِنَاءِ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، وَسَيَاتِي بَيَانُهُ عَقِيبَ ذِكْرِ بِنَاءِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ لِلْكَعْبَةِ اَنَّ

شآه الله تعالى ، وبناه الحجّاج نحو جهة الميزاب والحجر يسكون الجيم وتعليه جوف الكعبة ورفع الباب الشريف الذى فى لصق الملتزم وسدّ الباب الغربى الذى يلصق المستجار لا غير وما عدا ذلك فى الجهات الثلاث وهو وجه الكعبة الشريفة وجهة ظهرها وما بين الركن اليمانى والحجر الاسود فهو بناء سيّدنا عبد الله بن الزبير باقٍ الى الآن كما سنذكره فى زيادة عبد الله بن الزبير فى المسجد الحرام وهدمه الكعبة وبنآئها على قواعد ابراهيم ،

فصل فى تحلية الكعبة الشريفة وبابها الشريف بالذهب والفضّة وقناديلها الشريفة ، قال ابو الوليد الازرقى رحمه الله تعالى اول من حلّا الكعبة الشريفة فى الجاهلية عبد المطّلب جدّ النبى صلعم بالغزالتين الذهب اللتين وجدهما فى بير زمزم حين حفرها ثم قال واول من ذهّب البيت فى الاسلام عبد الملك بن مروان ، وقال المسبحى ما يقتضى خلاف ذلك فقال اول من حلّا البيت عبد الله بن الزبير جعل على الكعبة واساطينها صفايح الذهب وجعل مفاتيحها من الذهب ، وذكر الفاكهى رحمه الله ان الوليد بن عبد الملك جعل الذهب على ميزاب الكعبة ، وذكر الازرقى ان الوليد بن عبد الملك بعث الى واليه على مكة خالد بن عبد الله القسرى بستّة وثلاثين الف دينار يضرب منها على بابى الكعبة صفايح الذهب وعلى ميزاب الكعبة وعلى الاساطين لها فى جوف الكعبة وعلى اركانها من داخل ، وذكر الازرقى ان الامين بن هارون الرشيد ارسل الى عامله على مكة سالم بن الجحّاف بثمانية عشر الف دينار ليضرب بها صفايح الذهب على بابى الكعبة فقلع ما كان على الباب من الصفايح وزاد عليها الثمانية عشر الف دينار فضربها صفايح استمرّت على الباب

وجعل مسامیرها وحلقتی الباب وأعتابهٗ من الذهب ، وذكر ایضًا ان حجبة الكعبة ارسلوا الى المتوكّل العبّاسی یذكرون له ان زاویتین من زوایا الكعبة من داخلها مصفّح بالذهب وزاویتین مصفّح بالفضّة والاحسن ان یكون كلّها ذهبًا فارسل المتوكّل الى اسحاق بن سلمة الصایغ بذهب وامره بعمل ذلك فكسر اسحاق تلك الزوایا واعادها من الذهب وعمل منطقة من فضّة ركّبها فوق ازار الكعبة من داخلها عرضها ثلثا ذراع وجعل لها حلوقًا من الذهب متّصلًا بهذه المنطقة ، قال وكان اسفل الباب عتبة من خشب الساج قد رثّت وتآكلت فابدلها بخشب آخر والبسه صفایح من فضّة ، قال اسحاق الصایغ فكان مجموع الزوایا والحلوق الذهب ثمانیة الاف مثقال ومنطقة الفضّة وما على الباب من الفضة وما حلّی به المقام من الفضة سبعین الف درهم ، وذكر السیّد القاضی تقی الدین الفاسیّ رحمه الله ما وقع بعد الازرقی من تحلیة البیت الشریف فقال من ذلك ان الحجبة كتبوا الى المعتضد العبّاسیّ ان بعض ولاة مكة قلع ایام الفتنة مصاریع باب الكعبة وغیرها وسبكها دنانیر واصرفها على دفع الفتنة فامر المعتضد باعادة ذلك جمیعه فاُعیدت كما اشار به ، قال ومن ذلك ان اُمّ المقتدر لخلیفة العبّاسی امرت غلامها لؤلؤ ان یلبّس جمیع اسطوانات البیت الشریف ذهبًا ففعل ذلك فی سنة ٣١٠ ، قال ومن ذلك ان الوزیر جمال الدین محمّد بن علی بن منصور المعروف بالجواد وزیر صاحب مصر انفذ فی سنة ٥٤٩ حاجبه الى مكة ومعه خمسة الاف دینار لیعمل بها صفایح الذهب والفضة فی اركان الكعبة من داخلها ، قال وممّن حلّاها الملك المظفّر الغسّانی صاحب الیمن وحلّاها حفیدهٗ الملك المجاهد صاحب الیمن ایضًا ، ثم ان الملك الناصر محمّد بن

قلاوون الصالحى صاحب مصر حلّا باب الكعبة الذى عمله لها بخمسة وثلاثين الف درهم وان حفيده الملك الاشرف شعبان حلّا باب الكعبة فى سنة ٧٧٩ انتهى ما ذكره التقى الفاسى ، قلت وقد ادركنا الباب الشريف مصفّحًا بالفضة وكان يختلس من فضته اوقات الغفلة من قلّ دينه وخفّت يده الى ان انكشف سفل الباب الشريف عن خشب الباب ومسك مراراً من يفعل ذلك وحبسوا وبهدلوا فعرض ذلك على الابواب الشريفة السلطانية فى ايام المرحوم المقدّس السلطان سليمان خان ، اسكنه الله تعالى فراديس الجنان ، فى سنة ٩٦١ فبرز الامر الشريف السلطانى بتصفيح الباب الشريف بالفضة الى ناظر الحرم الشريف المقيم بمكة فى منصب نظارة الحرم الشريف يومئذ وهو من فضلاء كتبة مصر احمد چلبى المقاطعجى صهر المرحوم محمّد بن سليمان دفتردار مصر اذ ذاك رحمه الله تعالى وكان له شعر لطيف بالتركى وترجم باللسان التركى كتاب روضة الشهداء لمولانا جامى وضمّنه من لطايف النظم والنثر ما يستحسنه الطبع ومن محاسن السجع ما يخفّ على السمع وهو كتاب مقبول متداول بين اللطفاء وكان وصوله الى مكة فى افتتاح سنة ٩٥٨ وكان فى البيت الشريف خشبة من اخشاب سقفه المنيف انكسرت وصار الماء ينزل من موضع الكسر الى جوف البيت المعظم وكان قاضى مصر يومئذ قدوة علماء الموالى العظام مولانا حامد افندى وهو اليوم مفتى ممالك الاسلام بالباب العالى اطال الله عمره المديد ، وادام بقاءه السعيد ، قد حجّ الى بلد الله الحرام وقاضى مكة يومئذ الافندى المرحوم مولانا محمّد بن محمود المعروف بخواجه قيْنى اسكنهما الله تعالى فسيح الجنان ، وخفّ تربتهُ بالروح والريحان ، فاطّلعا على هذا الاختلال وعرضاه على

الابواب الشريفة السلطانية، فلمّا وصل العرض الى المرحوم المقدّس
المغفور له الاقدس السلطان سليمان خان، بوّأه الله غرف الجنان، ارسل
الى مفتي الاسلام سلطان العلماء الاعلام مولانا ابي السّعود افندي المفتي
الاعظم قدّس الله تعالى روحه يستفتيه عن حكم الله تعالى في هذه
المسالة جواز او عدم جواز فكتب اليه يجوز ذلك ان دعت الضرورة
اليه فارسل بجواب المفتي الاعظم الى صاحب مصر يومئذ الوزير المعظم
المرحوم علي باشا فارسله الوزير المذكور الى ناظر الحرم المشار اليه وقاضي
مكّة يومئذ مع امر شريف سلطاني مضمونه العمل بمقتضى الفتوى،
فجمع احمد جلبي مُؤَن العمارة والاخشاب اللايقة بهذا العمل وكان كاتبه
صولق مُصْطَفى جلبي ومعماره مصطفى المعمار، وقبل الشروع في العمل
اقتضى رأيهم مشاورة العلماء في ذلك فجلس مولانا الافندي محمد بن
محمود بن كمال بعد صلوة الجمعة لاربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع
الاول سنة ٩٥١ في الحرم الشريف واستحضر مفتي العلماء الشافعية
المرحوم مولانا الشيخ شهاب الدين احمد بن حجر الهَيْتَمي ومولانا
الشيخ نُور الدين علي بن ابراهيم العُسَيْلي ومولانا القاضي يحيى بن
فايز ابن ظهيرة ومؤلّف هذا الكتاب وتفاوضوا في هذه المسئلة فذكر
مصطفى المعمار انه شاهد عُودَيْن من أعْواد سقف الكعبة مكسورَيْن نزلا
عن محاذاة بقيّة اخشاب السقف الشريف من وسطهما مقدار اثني
عشر قيراطًا وذكر ان عودًا ثالثًا الى جانبهما لنحو الباب الشريف نزل
ايضًا تسعة اصابع عن محاذاة اعواد السقف الصحيحة هُبُوطًا الى
اسفل فانه يحتمل ان يكون مكسورًا ايضًا ويحتمل ان يكون صحيحًا لكنه
اعوجّ باعوجاج ما الى جانبه من العود المكسور وشهد معه المعلم احمد

الخيّمـاتى المصرى وغيره وذكروا بانه ان لم يتدارك تغيير الخشب المكسور بخشب صحيح فالغالب فى امثال ذلك ان يسقط الى اسفل وتزعزع الجُدران بسُقوطه ويغلب فى الظنّ اختلال فى جوانب السطح يُؤدّى الى سُقُوط السقف جميعه وتشقّق الجدران او سقوطهـا ، فاتّفقت ارآء الحاضرين على الاقدام على تغيير السطح وتبديل تلك الاعواد وعيّنوا ان يشرعوا ضُحْ يوم السبت منتصف شهر ربيع الاول سنة ٩٥٩ فتعصّبت طايفة حرّكهم الهَوَى والغرض لمخالفة ما رايناه صَوَابًا وحرّكوا طايفة من العلمـاء الى الخلاف وزعموا ان من تعظيم البيت الشريف ان لا يتعرّض له بترميم ولا اصلاح وان قيام الكعبة الشريفة هذه المُدّة المديدة والرياح تنسفهـا من الجوانب الاربعة ولا يُوثر فيهـا دليلٌ على ان قيامها ليس بقوّة البناء بل هى ثابتة بقدرة الله تعالى وانه لا يجوز تغيير اخشابها الاّ اذا سقطت بنفسها وغير ذلك من التّمْويهات والتّهْويلات لكى تَنْبُو عن مَسامع العقلاء وعوّلوا الامر على عوامّ النـاس وغوغآءهم وكادت ان تقوم لذلك فتنةٌ من العوامّ ، وكتب مولانا الشيخ شهاب الدين احمد بن حجر تاليفاً واسعاً فى الردّ على اولئك المعاندين واستَنَدَ الى نُقُول كثيرة وصمّم على الجواز وجاءنى رحمه الله يُحَرّضنى على الثبات على ما صَدَرَ منّى من القول بالجواز ونقل لى عن المحبّ الطبرىّ فى كتابه استنقصاء البيان فى مسئلة الشاذروان بعد ذكره حديث عايشة رضى الله عنها فى هدم الكعبة ما نَصّه ومدلول هذا الحديث تصريحًا وتلويحًا انه يجوز التغيير فى الكعبة لمَصْلَحة ضَرُورية او حاجة مستحسنة انتهى ، ولمّا بلغ سيّدنا ومولانا المقام الشريف العالى السيّد الشريف شهاب الدين احمد بن ابى نُمَىّ صاحب مكة اذذاك تغمّده الله تعالى

برضوانه، واسكنه فسيح جنانه، حضر بنفسه من البرّ الى مكة المشرفة وطلب سيّدنا سلطان العلماء الاعلام شيخ الاسلام شمس الملّة والدين الشيخ محمّد بن مولانا الشيخ ابى الحسن البكرى نفع الله به وباسلافه الكرام، وشيّد به آرز شريعة سيّد الانام، عليه افضل الصلاة والسلام، ومالانا الأقندى الاعظم قاضى مكة المشرفة وسيّدنا ومولانا شيخ الاسلام قاضى القضاة ومرجع اهل بلد الله الحرام القاضى تاج الدين عبد الوهّاب بن يعقوب المالكى طيّب الله مثواه، وجعل الفردوس الاعلا مأواه، وناظر الحرم الشريف المكّى يومئذ احمد چلبى المذكور فحضروا جميعًا تجاه البيت الشريف عند مقام سيّدنا ابراهيم عم واشير الى سيّدنا ومولانا الشيخ الاعظم محمّد البكرى ان يُلقى دَرْسًا يتكلّم فيه على قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربّنا تقبّل منّا انك انت السميع العليم فتكلّم على جرى عادته بلسان طَلْق فصيح ولفظ منتظم ملیح أبهَرَ به الحاضرين وأدهَش الناظرين وأفاد وأجاد وقلّد نفايس الدرّ الاجياد فلمّا انقضى الدرس أخرج الناظر فتوى المفتى للناس قرأها مولانا الشيخ الاعظم الشيخ محمد البكرى فقال ومن يخالف هذا من الناس هذا هو عين الحقّ ومحض الصواب، فامر مولانا السيّد احمد العمّال بالشروع فى العمل فشرعوا وسكنت الفتنة ولله الحمد، وكلّ ذلك كان بتدبير المرحوم القاضى تاج الدين المالكى رحمه الله وكان عقلًا مجسّمًا وراء صواب محضًا وله فضل تامّ، وفكر صايب تمام، توفّى الى رحمة الله تعالى فى سنة ٩٩١، ثم لمّا كشف عن تلك الاعواد فى السقف الشريف وجدوها مكسورة كما ظنّوا فابدلوها باعواد جيّدة فى غاية الاحكام والاستقامة واعادوا السقف والسطح كما كان بغاية الاتقان

وسُطِّرَ ثواب ذلك فى صحايف المرحوم السلطان سليمان، عليه الرحمة والرضوان، ثم بعد الفراغ طلبوا منّا شيئًا يكون كتابته فكتبتُ لهم كلامًا يتضمّن التاريخ وهو

الحمدُ لله الذى عمّر الكعبة الشريفة بالشرايع المحمّدية فعمرت وهى البيت المعمور حسًّا ومعنًى وشيّد قواعد ملك من جَدَّدَ سقفها بتشييد واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعايل ربّنا تقبّل منّا واصلح الوجود بوجود من وجد فيها جدارًا يريد ان ينقضّ فاقامهُ، وخصّه بكنْز انّما يعمرُ مساجد الله من آمن بالله واليوم الاخر فكان له بذلك اعظم كرامهُ، واناله الحظّ الأوفر من مُلك سمّيه نبىّ الله سيّدنا سُلَيْمان، ابن السلطان سَليم خان، الحادى عشر من ملوك بنى عثمان، خادم الحرمَيْن الشريفَيْن، الخافقة أَلْوِيَة نَصْره ورايات ظفره فى الخافقَيْن، فلقد جَدَّدَ سقف الكعبة المعظمة حفظ الله دولته حفظ البيت المعمور والسقف المرفوع، واصلح ارضها المقدّسة وجدارها المتّخذة قبلةً للسجود والركوع، وغرّد طيرُ تاريخ تجديد عمارته على غُصُون حساب امجد فكان

تجدد سطح بيت الله مالك الدول سليمان

ملّكه الله الارض ومن عليها، وجعل باب سعادته قبلةً تسجد جِبَاهُ المطالب اليها،

ثم لمّا فرغ من تجديد سطح البيت الشريف وما يتعلّق به شرع فى تسوية فرش المطاف الشريف فان احجاره انفصلَتْ وصار بين كلّ حجرتَيْن حُفَرٌ وكانت تلك الحفر تُسَدُّ تارةً بالنورة وتُدْلَك وتارةً بالرصاص وتسمّر بمسامير الحديد فازال ما بين الاحجار من الحفر وتحتّ طرف الحجر الى ان الصقه بطرف الحجر الاخر من جوانبه الاربعة واستمرّ فى فرش المطاف

السعيد على هذا الاسلوب الى ان فرغ من ذلك واصلح ابواب المسجد الشريف وفرش المسجد جميعه بالجصّ، ثم ورد الحكم السلطانى السليمانى بتصفيح الباب الشريف بالفضّة فاخرجوا جميع فضة الباب وزادوا عليهـا فضة وجُعلت صفايح وصُفّح بهـا باب الكعبة الشريفة وسُمّرت الصفايح بمسامير الفضة وأُعيدت الحلقات الاربع على البـاب الشريف واصلح الميزاب الشريف وصُفّح بالفضة المموّهة بالذهب الى ان غُيّر بعد ذلك وعُمل الميزاب فى الباب السلطانى مصفّحاً بالذهب وارسل الى هُنا فوضع موضع الميزاب الذى كان فى الكعبة وجُهّز الى الباب الخاقانى فوصل ووُضع فى الخزانة العامرة،

وامّا عمارة المطاف الشريف فوقعت فى سنة ٩٩١ وكنت قد أُمِرْتُ بتاريخ يُكتب على بعض مواضع المطاف فكتبتُ بسم الله الرحمن الرحيم ان اول بيت وُضِعَ للنـاس للذى ببكّة مباركًا وهُدًى للعالمين، فيه ايات بيّنات مقام ابراهيم، ومن دخله كان آمنًا تقرّب الى الله تعالى بتجديد فرش احجار المطـاف، وتسويتهـا تحت اقدام الطايفين فى الطواف، وتحلية الباب الشريف، والميزاب المعظم المنيف، خليفة الله الاعظم، سلطان الروم والعرب والعجم، من اصطفاه الله تعالى واجتباه لتعميم بيته الحرام، واختاره وارتضاه لخدمة الركن والمقام، السلطان ابن السلطان ابن السلطان، الملك المظفر ابو الفتوحات سليمـان خـان، تقبّل الله منه صالح الاعمال، وبلّغه ما يُؤمّله من السعادة والاقبـال، ولمّـا تمّ ذلك غرّد بالتاريخ طيرُ الهَنَاء عمّر اللهُ قبلتَنَا،

فصل فى ذكر معاليق الكعبة المعظمة وكسوتها، امّا المعاليق فقال المسعودى رحمه الله تعالى فى مروج الذهب كانت القُرس تهدى الى الكعبة

اموالًا وجواهرَ فى الزمان الاول وكان ساسان بن بابك أَهْدَى غزالتَيْن من ذهب وجواهر وسيوفًا وذهبًا كثيرًا الى الكعبة ، وقال الشريف التقى الفاسى فى شفاء الغرام يقال ان كِلَاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَىّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر بن كِنانة القُرَشىّ اول من علّق فى الكعبة السيوف المحلّاة بالذهب والفضة ذخيرةً للكعبة ثم نقل عن الازرقى اشياء أُهْدِيَتْ الى الكعبة منها ان امير المومنين عمر بن الخطّاب رضه لمّا فتح مَدائن كِسْرى كان ممّا أُهْدى اليه هلالان فبعث بهما فعلّقهما فى الكعبة ، وبعث السفّاح بالصفيحة الخضراء فعُلّقت فى الكعبة وبعث المامون بالياقوتة التى تعلّق فى كلّ موسم بسلسلة من الذهب فى وجه الكعبة وبعث المتوكّل على الله بشمسة من ذهب مكلّلة بالدُّرّ الفاخر والياقوت الرفيع والزبرجد تعلّق بسلسلة من الذهب فى وجه البيت فى كل موسم وأَهْدَى المعتصم العبّاسى قفلًا لباب الكعبة فيه الف مثقال ذهبًا فى سنة ٢١٩ وكان والى مكة يومئذ من قبله صالح بن العبّاس فارسل الى الحَجَبة ليُقَبّضهم القفل فأَبوا ان ياخذوه منه واراد ان ياخذ القفل الاول ويرسل به الى الخليفة فأَبوا ان يُعطوه ذلك وتوجّهوا الى بغداد وتكلّموا مع المعتصم فترك قفل الكعبة عليها واعطاهم القفل الذى كان بعثه اليها فاقتسموه بينهم ، وذكر الفاكهىّ ان ممّا أُهْدى الى الكعبة طَوْقٌ من ذهب مكلّل بالزمرّد والياقوت مع ياقوتة كبيرة خضراء ارسله ملك السند لمّا اسلم فى سنة ٢٥٩ فعرض امره على المعتمد على الله فامر بتعليقها فى البيت الشريف فعُلّقت ، قال الشريف التقى الفاسىّ رحمه الله وممّا عُلّق بعد الازرقى قضبة من فضة فيها كتاب بيعة جعفر بن امير المومنين المعتمد على الله وبيعة الى احمد الموفّق بالله ابن اخى المعتمد

على الله قدم بها الفضل بن العبّاس فى موسم سنة ٣١١ وكان وزن القصبة ثلاثمائة وستّين درهمًا فضة وعليها خارجًا عن ذلك ثلاثة ازرار بثلاث سلاسل من فضة ودخل الكعبة يوم الاثنين لاربع ليال خلون من صفر فعلّق هذه القصبة مع معاليق الكعبة، قلتُ وسيأتى ان هارون الرشيد كتب ان يكون ولىّ عهده بعده محمّد الامين ثم عبد الله المامون وبايع لهما على ذلك اعيانُ مملكته وكتب مُبايعتهم وارسل نسخة ذلك العهد وعلّقها فى الكعبة ثم لمّا وقع بعده الاختلاف بينهما وارسل الامين عسكرًا لقتال اخيه المامون ارسل الى مكة واخرج كتاب العهد من الكعبة ومزّقه فمزّق الله تعالى ملكه وانكسر عسكره وانتصر المامون وجاء الى بغداد وحاصر الامين الى ان امسكه عبد الله بن طاهر وقتله واتى براسه الى المامون وسيأتى تفصيل ذلك جميعه ان شاء الله تعالى، ثم لمّا وقعت الفتنُ بمكة أُخِذَتْ تلك المعاليق من الكعبة وصُرِفَتْ فى ذلك، وقد كانت الملوك تُرسل بقناديل الذهب وتعلّق فى الكعبة وكانت شيوخ سدنة البيت الشريف اذا احتاجت اختلَسَت منها ما تسدّ به خَلَلها وتدفع به فقرها واحتياجها وقد ادركنا فى ايام الصبا وقد خفّت القناديل وادركنا من شيوخ الكعبة من كان يتّهم بذلك بل اخبرنى نجّارٌ انه عمل لاحدهم محطًّا مركّبًا من الخشب مؤلّفًا من عدّة اعواد طوال كل واحد منها نحو ذراع تركّب فتطول ثم تُفكّ وتُحمل فى الكُمّ فاذا دخل الشيخ يوم فتح الكعبة ابتداً فدخل وحده كما هو عادة مشايخ الكعبة وركّب ذلك المحطّ ونزل قنديلاً وفكّ تلك الاعواد وعفس ذلك القنديل ووضعه فى كُمّه الواسع ثم اذن للناس بالدخول الى البيت الشريف وما كان يحمله على ذلك غير فقره واحتياجه تجاوز الله

عنه، واتفق مرّة امير من امراء جُدّة قنديلًا كان عُلّق قريبًا فى البيت الشريف فكلّم على ذلك الشيخ واراد اهانته فلم يقدر على ذلك فتكلّم الناس عليه وكان يقول لمحافظة على بِنْيَةِ الانسان اوجبُ من المحافظة على قناديل معلّقة فى الكعبة لا ينفعها تعليقها ولا يضرّها فقدها، وقد وصلنا الآن الى حدّ المخْمَصة فنُعذر فى ذلك ان وقع فعله منّا والبيت الشريف الآن ولله الحمد والشكر فى غاية الصون فى ايام هذا الشيخ الموجود الآن لعفّته وامانته عُلّقت فى ايامه قناديل كثيرة اهداها الملوك الى الكعبة الشريفة وهى محفوظة معلومة عند الناس باقية بيَرْوِنِها فى سقف البيت الشريف اوقات فتح الكعبة لسايير الناس، وقد وصل فى وسط سنة ١٨٤ من الباب الشريف العالى السلطانى جاوش اسمه محمّد جاوش كان قبل ذلك كاتبًا للحَرَم الشريف على عمارة المسجد الحرام وكان توجّه ببشارة اتمام عمل المسجد الشريف الى الباب العالى السلطانى وهو رجل فى غاية الامانة والاستقامة وحُسن الخدمة وفضيلة الكتابة وحُسن الخطّ والمُرُوّة وعُلُوّ الهِمّة سلّمه الله تعالى فاقبلت عليه السلطنة نصّرها الله تعالى وأنْعمت عليه بانواع الانعام والترقّى وغير ذلك من الاكرام وادخل فى عداد خواصّ جاوشية الباب العالى وأُرسل الى الحرمَيْن الشريفَيْن بالخلع الشريفة السلطانية لمن باشر خدمة الحرم الشريف فى هذه العمارة اجلّهم سيّدنا ومولانا المقام الشريف العالى سيّد السادات الاشراف، وصَفْوَةُ الصَّفْوَةِ من شُرَفاء بنى عبد مناف، السيد الشريف الحسيب النسيب، المستغنى بشرف ذاته عن التوصيف والتلقيب، بَدْرُ الدُّنْيا والدين مولانا السيد حسن بن ابى نُمَيّ خلّد الله تعالى دولتهما وسعادتهما، ودام عِزّهما وسيادتهما، وكذلك شيخ مشايخ الاسلام،

سيّد العلمآء الاعلام، وسندُ الفضلآء الكرام، ناظر المسجد الحرام، ومدرّس اعظم مدارس اعظم سلاطين الانام، صَفْوَةُ نُخْبَةِ آل سيد المرسلين عليه وعليهم افضل الصلوة والسلام، وقاضى المدينة المنوّرة سابقًا بدر الملّة والدين، مولانا السيد حُسَيْن الحُسَيْنى المكّى المكين، لا زال حرم الله الامين، مشمولاً فى ايّام نظارته بالعزّ والتمكين، واهل الحرمَيْن الشريفَيْن غارقين، فى بحر احسانه فى كل وقت وحين، وكذلك لقاضى مكة المشرفة يومئذ اقضى قُضاة المسلمين، أَوْلَى وُلاة الموحّدين، مَعْدَن الفضل واليقين، وارث علوم الانبياء والمرسلين، مولانا مُصْلِح الدين لُطْفى بك زاده ذكره الله تعالى بالصالحات، وافاض عليه سوابغ الخيرات، وكذلك لامين العمارة الشريفة افتخار الامرآء العظام، معمّر المسجد الحرام، الامير احمد وفّقه الله تعالى وسدّد، واكرمه واسعد، وجهزت السلطنة الشريفة نصّر الله تعالى بها الاسلام، وأيّد بتأييدها دين سيّدنا محمد عليه افضل الصلوة والسلام، مع الجاوش المشار اليه ثلاثة قناديل من الذهب مُرَصَّعة بالجواهر ليعلّق اثنان منها فى سقف بيت الله تعالى زاده الله تشريفًا وتعظيمًا والثالث فى الحُجْرة الشريفة النبوية تجاه الوجه الشريف النبوى تعظيمًا لسيّد الانام،

على ذلك الوجه المليح تحيّةٌ مُبارَكَةٌ من ربّنا وسَلام،

فلمّا وصل محمد جاوش الى مكة المشرفة شرّفها الله تعالى بما فى يده من الخلع والتشاريف والقناديل المعظمة قُوبل بغاية التعظيم والاجلال، وعُومل بنهاية الاحترام والاقبال، وأُلْبِسَ الخلع الشريفة الفاخرة، وأُنْعِمَ عليه بالصيافات والانعامات الوافرة، وحضر الى المسجد الحرام بنفسه النفيسة سيدنا ومولانا المقام الشريف العالى السيد حسن المشار الى

حضرته العالية ادام الله تعالى عزّه واقباله ومعه اكابر السادة الاشراف وجلس فى الحطيم الكريم تجاه بيت الله المنيف ومعه سيدنا ومولانا ناظر حرم الله تعالى شيخ مشايخ الاسلام السيد القاضى حُسَيْن الحُسَيْنى المُومَى اليه، خلّد الله عظمته واجلاله عليه، وباقى من ذكرنا وسايرِ الاعيان والاهالى، وكافّة العلماء والفقهاء والموالى، واجتمعت الناس حول الكعبة الشريفة وامتلأ الحرم الشريف، بذلك الموكب المنيف، وفتح باب بيت الله تعالى واحضرت الخلع الشريفة السلطانية، والقناديل السّنيّة الخاقانية، وقُرِّئت المراسيم الشريفة المطاعة فى الاقطار والجهات فوق منبر لطيف بصَوْت جَهْوَرِىّ يسمعه الخاصّ والعامّ وأُلْبِسَ سيدنا ومولانا السيد حسن نصّره الله تعالى خلعتَيْن فاخرتَيْن ثم مولانا ناظر الحرم الشريف ثم من كان له خلعة من السلطنة ثم طاف سيدنا ومولانا السيد حسن بالبيت بخلعتَيْه على المعتاد والرئيس المؤذن يدعو للسلطنة الشريفة وله بعْلُوّ زمزم على العادة والناس كلّهم رافعون أكُفّهم بالدّعاء والتّأمين الى ان فرغ سيدنا ومولانا من الطواف ودَعَى بالمُلْتَزَم الشريف ثم صلّى ركعتَى الطّوَاف فى مقام ابراهيم ثم طلع هو ومولانا ناظر الحرم الشريف وبقيّة الاعيان الى باب بيت الله تعالى ودخلوا الكعبة واحضرت القناديل الشريفة واختاروا لها مكاناً عاليًا يقَعُ نظر الداخل الى البيت الشريف فى اول دخوله الى الكعبة المعظمة عليها وأُحْضِر سُلّم يُصْعَد عليه فعلّقهما سيدنا ومولانا السيد حسن بيده الشريفة تعظيمًا لامر السلطنة العلية المنيفة وقُرِئت الفواتح فى الكعبة الشريفة وحولها ودَعَت الناس اجمعون ورفعت اصواتهم وهم الى الله تعالى يتضرّعون بدَوام دولة هذا السلطان الاعظم، سلطان سلاطين العالم،

خلّد الله تعالى خلافته الزاهرة، وابّد ايام سلطنته القاهرة، وجمع له بين سعادتى الدّنيا والآخرة، ثم انفضّ ذلك المجلس العظيم، وانقضى ذلك الموكب الشريف الوسيم، وكان يومًا شريفًا مشهودًا، ووقتًا مباركًا منيمّنًا مسعودًا، رقمتْهُ الليالى والايام فى صفحات اوراقها، واثبتتْه فى جرايد دفاترها واطباقها،

وانّما المرء حديثٌ بعده فكُنْ حديثًا حَسَنًا لمن رَوَى،

ثم توجّه محمد جاويش المذكور بالقنديل الذى بقى معه الى المدينة المنوّرة، ووصل الى تلك الروضة الشريفة المطهّرة، واجتمعت له اكابر المدينة الشريفة واعيانها، وعُلَمَاؤُها وصلحاؤُها واركانها، وشيخ حرمها وبوّابها، ومن له شان وقدر من مجاوريها وسُكّانها، فعُمِلَ موكب شريف فى الحرم الشريف النبوّى وفُتحت الحجرة الشريفة النبوية على ساكنها افضل الصلوة والسلام وعُلّق ذلك القنديل تجاه الوجه الشريف النبوى عليه الصلوة والسلام وقُرِئَت الفواتح وحصل الدعاء من سايرِ جيران سيّد الانام، عليه اشرف التحيّة وافضل السلام، بدَوَام دولة هذا السلطان العظيم الاعظم، سلطان سلاطين العالم، خلّد الله ملكه السعيد، وابّد مَعْدَلَتَهُ وفضله واحسانه المزيد، فالله تعالى يطيل عمره ويسعده، ويُوَفّقه للخيرات ويُرشده، ويسوّقه الى الباقيات الصالحات من اعمال الخير ويُسَدّده، وهو اول من علّق قناديل الذهب فى الحرمَيْن الشريفَيْن من سلاطين آل عثمان، خلّد الله تعالى سلطنتهم وابّد دولتهم الى انتهاء الزمان، وقد سبق بهذه المَنْقَبة الشريفة آباءه السلاطين العظام، وفَاقَ بهذه المزيّة الكريمة أَجْداده وأَسْلافه الكرام، لا زال فايقًا كبار سلاطين العالم وخلفآئها، وراقيًا بأَقْدام اقْدام عزمه هام ملوك

الدنيا وعظمآئها ،

هو العادل الطّلّام للمال والعِدَى خزاينهُ قد اقفرت وديارُهَا
عليمٌ بنور الله ينظرُ قلبُهُ فلم يغن اسرار القلوب استتارُهَا
به دمّر الله الصليب واهلهُ به ملّة الاسلام عال منارُهَا
فلا زالت الافلاك تجرى بنصره ولا زال عنه قطبها ومدارُهَا ،

فصل فى ذكر كسوة الكعبة الشريفة قديمًا وحديثًا وحكم بيعها وشرآئها والتبرّك بها ، ذكر الازرقى وابن جُرَيْج رحمهما الله تعالى ان اول من كسى الكعبة الشريفة تُبّع الحِمْيَرى من ملوك اليمن فى الجاهليّة تعظيمًا لها واسم هذا التُّبّع أَسْعَدُ وانه راى فى منامه انه يكسو الكعبة فكساها الأَنْطَاع ثم راى انه يكسوها فكساها من حِبَرِ اليمن وجعل لها بابًا يُغْلَق فقال أَسْعَدُ فى ذلك

وكسونا البيت الذى حرّم الله مُلآءً مُعَضَّدًا وبُرُودَا
واقمنا به من الشهر عشرًا وجعلنا لبابهِ اقْلِيدَا
وخرجنا منه الى حيث كُنّا ورفعنا لواءنا معقودًا ،

قال الازرقى ايضًا حدّثنى جدّى حدّثنا سعيد بن سالم عن ابن جريج عن ابن ابى مُلَيْكة قال كان يُهْدَى للكعبة هدايا شتّى من اكسية وحبر وانماط وتُكْسَى بها الكعبة ويُجْعَل ما بقى منها فى خزانة الكعبة فاذا بلى شىء منها جُعل فوقه ثوب آخر ولا يُنْزَعُ مِمّا عليها شىء وكانت قريش فى الجاهلية تتزيّد فى كسوة الكعبة فيضربون على القبايل بقدر احتمالهم من عهد قُصَىّ بن كلاب حتى نشأ ابو ربيعة بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم وكان مثريًا يتّجر فى المال فقال لقريش انا اكسو الكعبة وَحْدِى سنةً وجميع قريش سنةً فكان يفعل ذلك الى ان مات فسمّته

قريش العَدْل لانه عَدَل قريشًا وَحْده فى كسوة البيت الشريف ويقال لبنيه بنو العَدْل ، وقال ايضًا اخبرنى محمد بن يحيى عن الواقدى عن اسماعيل بن ابراهيم بن ابى حُبَيْشة عن ابيه قال كسى النبىّ صلعم البيت الثياب اليمانية ثم كساه عمر وعثمان رضى الله عنهما القَبَاطى وكان يُكْسَى الديباج بعد ذلك ، وقال ايضًا حدثنى جدّى قال كانت الكعبة تُكْسَى كلّ سنة كسوتَيْن فتكسى اوّلًا الديباج قبطيًا يُدْنَى عليها يوم التروية ولا يُخاط ويُترك الازار حتى يذهب الحاجّ ثمّ يخرقونه فاذا كان العاشوراء علّقوا عليها الازار وأوصلوه بالقميص الديباج فلا يزال عليها الى يوم السابع والعشرين من شهر رمضان فيكسوها الكسوة الثانية وهى من القَبَاطى ، فلمّا كانت ايام خلافة المامون امر ان تُكْسَى الكعبة ثلاث مرّات كلّ سنة فتُكْسَى الديباج الاحمر يوم التروية وتكسى القباطى اول رجب وتكسى الديباج الابيض فى عيد رمضان واستمرّ على ذلك ، ثم أُنْهِىَ اليه ان الازار الذى تكسى به الكعبة فى العاشوراء ويلصق بالقميص الديباج الاحمر الذى تكسى به يوم التروية لا يصبر الى تمام السنة وانه يحتاج الى ان يجدّد لها ازار على عيد رمضان مع قميص الديباج الابيض الذى تكسى به على العيد فامر ان تكسى ازارًا آخر على عيد رمضان ، ثم بلغ المتوكّل على الله ان الازار يبلى قبل شهر رجب من كثرة مسّ ايادى الناس فزادها ازارَيْن وامر بإسْبال قميص الديباج الاحمر الى الارض ثم جعل فوقه فى كلّ شهرَيْن ازارًا وذلك فى سنة ٢٤٠ ، ثم بعد الخلفاء العبّاسيّين وايام وهنهم وضعفهم كانت كسوة الكعبة الشريفة تارةً من قبل سلاطين مصر وتارةً من قبل سلاطين اليمن بحسب قوّتهم وضعفهم الى ان استقرّت الكسوة الشريفة من سلاطين مصر الى ان

اشترى السلطان الملك الصالح بن الملك الناصر بن قلاوون قريتين بمصر
ووقفهما على عمل كسوة الكعبة الشريفة اسمهما بَيْسُوس وسَنْدَبيس ، ثم
استمرّت سلاطين مصر من بعده تُرْسل كسوة الكعبة في كل عام وكانوا
يرسلون عند تجدُّد كلّ سلطان مع الكسوة السوداء التي تكسى من
ظاهر البيت الشريف كسوة حمراء لداخل البيت الشريف وكسوة
خضراء للحجرة الشريفة النبوية على ساكنها افضل الصلوة والسلام
مكتوب على كل من الكسوة السوداء والحمراء والخضراء لا اله الا الله محمد
رسول الله دالات في قلب دالات وقد تزاد في حواشي تلك الدالات آيات
أُخْرى متناسبة او اسماء اصحاب رسول الله صلعم او تترك سادجة
بحسب ما يُؤمَر النَّسّاج به ، فلمّا آلت سلطنة ممالك العرب الى سلاطين
آل عثمان خلّد الله تعالى ايام سلطنتهم القاهرة ما دار الدوران ، ودام
الزمان ، واخذ المرحوم المقدّس السلطان سليم خان ، ابن السلطان
بايزيد خان ، عليه الرحمة والرضوان ، مملكة العرب من الجراكسة بالسيف
والسّنان ، جهّزت كسوة الكعبة الشريفة داخلا وخارجاً وكسوة المدينة
الشريفة على ما جرت به العادة وامر باستمرار الكسوة السوداء للكعبة
الشريفة على الوجه المعتاد ، ولمّا آلت السلطنة العظمى الى المرحوم
المغفور له السلطان سليمان خان امر باستمرار الكسوة الشريفة على
عوايدها السابقة ثم ان قريتَيْ بَيْسُوس وسَنْدَبيس الموقوفتَيْن على
كسوة الكعبة الشريفة خربتا وضَعُفَ رَيْعُهما عن الوفاء بمصروف الكسوة
فامر ان يكمل من الخزاين السلطانية بمصر ثم اضاف الى تلك القريتَيْن
الموقوفتين قُرًى أُخْرى أَوْقَفَها على كسوة الكعبة الشريفة فصار وقفًا عامرًا
فايضًا مستمرًّا وذلك من اعظم مزايا السلاطين العظام ، الذى يفتخرون

به على ملوك الانام، ولا يَعدِلُ الى ذلك الا اعظم السلاطين الفخام، وهي الآن من مخصوصات سلاطين آل عثمان اللوام، زيّن الله تعالى بمزاياهم اجياد الليالي والايام، وخلّد ذكر محاسنهم في صفحات دفاتر الدهر الى يوم القيام، ان شاء الله الملك العلّام،

واما نَزْعُ كسوة الكعبة الشريفة وتقسيمها بين الناس فقد ذكر الازرقي رحمه الله قال حدثني جدّي عن مسلم بن خالد عن ابن جُرَيْج عن ابيه ان عمر بن الخطّاب رضه كان ينزع كسوة البيت في كلّ سنة فيقسمها على الحاجّ، وقال ايضًا وحدثني جدّي حدثنا عبد الجبّار بن الورد المكّي قال سمعت ابن ابي مُلَيْكة يقول كان على الكعبة الشريفة من كسوة الجاهلية ما بعضها فوق بعض فلمّا كُسيَت في الاسلام من بيت المال خُفّفت عنها تلك الكساوي شيئًا فشيئًا وكان اول من ظاهر لها كسوتَيْن امير المومنين عثمان بن عفّان رضه، فلمّا كان ايام معاوية بن ابي سفيان كساها الديباج مع القباطي ثم انه بعث اليها بكسوة ديباج وقباطي وحبر وامر شَيْبة بن عثمان ان يجرّد الكعبة عن الكساوي ويُخلّقها بالطيب ويلبّسها ما جهّزه اليه فجرّدها وطيّب جدرانها بالخلوق وكساها تلك الكسوة التي بعث بها معاوية وقسم الثياب التي كانت عليها بين اهل مكة وكان سيدنا عبد الله بن عبّاس رضه حاضرًا في المسجد الحرام فما انكر ذلك ولا كرهه، قال وكان شيبة يكسو منها حتى راى على امراة حايض من كسوتها فانكر ذلك عليها، وقال ايضا حدثني محمد بن يحيى عن الواقدي عن عبد الحكم بن عبد الله ابن ابي فَرْوة عن هلال بن أُسامة عن عطاء بن يَسار قال قدمتُ مكة معتمرًا فجلستُ الى عبد الله بن عبّاس في صُفّة زمزم وشيبة بن عثمان

يجرّد الكعبة ورايته يخلق جدورها ويطيّبها ورايت ثيابها لله جرّدها
عنها قد وُضعت بالارض ورايت شيبة بن عثمان يومئذ يقسمها فلم أرَ
ابن عبّاس انكر شيئًا من ذلك ممّا صنع شيبة بن عثمان ، وقال ايضًا
حدّثني جدّي حدثنا ابراهيم بن محمد بن ابي يحيى حدثنا علقمة
عن أمّه عن أمّ المومنين عايشة رضى الله عنها ان شيبة بن عثمان
دخل عليها وقال لها يا امّ المومنين تكثر ثياب الكعبة عليها فجرّدها
عن خُلْقانها ونحفر لها حُفْرَةً ندفن فيها ما بلي منها كيلا تلبسها
الحايض والجنب فقالت له عايشة رضى الله عنها ما اصبت فيما فعلتَ
فلا تَعُدْ الى ذلك فان ثياب الكعبة اذا نُزعت عنها لا يضرّها من لبسها
من حايض ولكن بِعْها واجْعل ثمنها في سبيل الله وابن السبيل ،
ومذهب علمآئنا رضى الله عنهم في ذلك رجوع امره الى السلطان وقال
الامام فخر الدين قاضي خان رحمه الله تعالى في كتاب الوقف من فتاواه
ديباج الكعبة اذا صار خَلَقًا يبيعه السلطان وينتفع به ويستعين به في
امر الكعبة لان الولاية فيه للسلطان لا لغيره ، وفي تتمة الفتاوى عن
الامام محمد رحمه الله في ستر الكعبة يعطى منه انسان فان كان شيئًا
له ثمن لا ياخذه وان لم يكن له ثمن فلا باس له ، قال الامام نجم الدين
الطرطوسي في منظومته

وما على الكعبة من لباس إنْ رَثّ جاز بَيْعُهُ للناس

ولا يجوز اخذه بلا شرا للاغنيآء لا ولا للفقرا ،

قال الامام الفقيه ابو بكر الحدّادي في السراج الوهاج لا يجوز قطع شيء
من كسوة الكعبة ولا نقلُه ولا بَيْعُه ولا شرآؤه ولا وضعُه بين اوراق
المصحف ومن حمل شيئًا من ذلك فعليه رَدُّه ولا عبرة بما يتوهّمه الناس

انهم يشترون ذلك من بني شيبة فانهم لا يملكونه فقد روى عن ابن عباس وعايشة انهما قالا يبيع ذلك ويجعل ثمنه في سبيل الله تعالى انتهى ، وقد ورد في الحديث الصحيح لولا حداثة قومك بكفر لانفقت كنز الكعبة في سبيل الله وقال القرطبي من علماء المالكية رحمه الله كنز الكعبة المال المجتمع مما يُهْدَى اليها بعد نفقة ما تحتاج الكعبة اليه وليس من كنز الكعبة ما حُلّي به من الذهب والفضة لان حِلْيَتها حُبِّسَ عليها كحُصُرِها وقناديلها لا يجوز صَرْفُها لغيرها انتهى فعلى قول القرطبي تكون كسوتها ايضًا حُبِّسًا عليها كحُصُرِها وقناديلها فلا يملكها احدٌ انتهى ، وقال الزركشي من علماء الشافعية رحمه الله في قواعده قال ابن عَبْدان امنع من بَيْع كسوة الكعبة واوجب ردّ من حمل منها شيئًا وقال ابن الصلاح ﷺ الذي راى الامام والذي يقتضيه القياس ان العادة استمرّت قديمًا بانّها تبدل كلّ سنة وتاخذ بنو شيبة تلك العتيقة فيتصرّفون فيها بالبيع وغيره وتقرّهم الأئمّة على ذلك في كلّ عصر فلا تردد في جوازه ، والذي يظهر لي ان كسوة الكعبة الشريفة ان كانت من قبل السلطان من بيت مال المسلمين فأمرها راجعٌ اليه يُعْطيها لمن شاء من الشَّيْبِيِّين او غيرهم وان كانت من اوقاف السلاطين وغيرهم فامرها راجع الى شرط الواقف فيها فهي لمن عيّنها له وان جُهِلَ شرط الواقف فيها عُمِلَ فيها بما جَرَت العادة السابقة فيها كما هو الحُكْم في سايرِ الاوقاف وكسوة الكعبة الشريفة الآن من اوقاف السلاطين ولم يُعْلم شرط الواقف فيها وقد جرت عادة بني شيبة انهم ياخذون لانفسهم الكسوة العتيقة بعد وصول الكسوة الجديدة فيُبْقون على عادتهم فيها وللعلماء المتأخّرين رسايل في حكم كسوة الكعبة لم يتيسّر لي الآن الوقوف على شيء منها ۞